وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الأدب واللغات

"مقامة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة عند الإبراهيمي –"أنموذجاً– دراسة فنية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
–الزغودي إيمان
–طراش حفصة

إشراف الأستاذ: خرازي مسعود

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الدرجة الأكاديمية	الصفة
حمودة مصطفى	د/ أستاذ محاضر أ	رئيساً
مسعود خرازي	أستاذ مساعد أ	مشرفاً ومقرراً
جقاوة يوسف	أستاذ متعاقد	مناقشاً

الموسم الجامعي:
1439/1438هـ– 2018/2017

الإهـــداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

وإلى جميع إخوتي من العلمي الى رزان هاجر

وإلى خطيبي مبارك أولاد النوي

وإلى صديقات من الزهرة إلى ميادة

وإلى زميلات في الغرفة من عالية إلى فريحة

وإلى كافة العائلة بالقرارة ولاية غرداية

وإلى بلدي التي أنفقت على تعليمي

الإهــداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلي:

نبراس الحياة قرة عيني أمي حفظها الله ورعاها

وإلى أبي الغالي أطال الله في عمره

والي إخوتي حفظهم الله ورعاهم

والى صديقاتي هالة وزهية وربيعة وأمال والياقوت

وإلى كل من قدم يد المساعدة لي

وإلى كافة العائلة بمتليلي ولاية غرداية

وإلى بلدي التي أنفقت على تعليمي

الـشـكـــر

نتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل وهو الأستاذ الفاضل مسعود خرازي جازاه الله خير الجزاء فيما يتعلق بالنصائح والتوجيهات القيّمة التي أفادنا بها طوال مدة إنجازهـهذا البحث، كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الى الأستاذ البار صالح على نصائحه القيمة، والزغودي محمد السايح على المجهودات التي بذلها فيما يتعلق بتنسيق البحث، كما نتوجه بالشكر إلى كل الأساتذة والطلاب والعاملين بجامعة غرداية.

الملخص: فن المقامة عند محمد البشير الإبراهيمي "مقامة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة."
فن المقامة هو أحد الفنون النثرية القديمة له جذور عريقة في التاريخ، ويمثل وسيلة تعبيرية للكاتب في نصوصه، فقد عرفه الأدب الجزائري من أدباء معروفين ذات أشكال متنوعة من المقامات الصوفية والأدبية والشعبية وهادفة وتخدم الأمة الجزائرية، ومنهم محمد البشير الإبراهيمي في مقامته مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، رثاء لفقدان عبد الحميد بن باديس، جاءت آية في الإبداع وقمة في التصوير لانفعالاته الوجدانية بـ فضل عواطفه الصادقة والأوجاع التي سكنت صدره، كشفت لنا مدى براعته وقدرته في الإبداع الأدبي .
الكلمات المفتاحية: المقامة ، المحسن البديعي، الموسيقى، اللغة ،الصورة البيانية.

Résume :
« Art de la sanctuair chez l'imam Mohamed el Bachir l'brahmi monologues ampute pour les raisons nécessite »

L'art de la sanctuaire est l'une des arts prosaïques et antiques il a des racines dans l'histoire, représente un outil excessif pour l'auteur dans ses textes, Il est connu par la littérature algérienne des écrivains connus et célèbres, Sous des différentes formes , Soufisme, Et littéraire, Et populaire , utiles pour servir la nation algérienne, Parmi ces écrivains : Mohamed el Bachir l'Ibrahim dans son sanctuaire" monologue amputes pour les raisons nécessite", Et sa déploration de perte son ami Abdelhamid ben Badais, qu'elle était formidable le dans l'innovation pittoresque de sec émotions appertises grâce à sec sentiment sincères et les maux qu'elles étaient dans son la mesure de son tâtent et sa faculté dans la création littéraire**.**
Mots-clés : sanctuaire ; Embellissements ; la sonorité, langue ; les figure de style,

الـفـهـرس

العنوان	الصفحات
الإهداء	III
الشكر	IV
الملخص	I
قائمة المحتويات	V
قائمة الملاحق	VI
مقدمة	أ
تمهيد	07
المبحث الأول:المقامة تعريفها وأنوعها	18
المطلب الأول: المقامة لغة واصطلاحا	18
المطلب الثاني: أنواع المقامات في الأدب الجزائري	19
المبحث الثاني: الدراسة الفنية	24
المطلب الأول: لغة المقامة	25
المطلب الثاني: صورة المقامة	38
المطلب الثالث: موسيقى المقامة	55
المبحث الثالث: التناص وأنواعه في المقامة	77
المطلب الأول: التناص الديني	77
المطلب الثاني: التناص الأدبي	83
خاتمة	87
قائمة المراجع	91
الملاحق	96

الملاحق

رقم الملحق	العنوان	الصفحة
01	: مقامة مناجاة مبقرة لدواعي الضرورة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي	96

مقدمة:

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ،والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

إن الفنون النثرية الأدبية من أكثر الفنون الأدبية إنتشارا عند العرب وأقلها عناية مقابل الشعر فمن خلال الآثار الأدبية لأمة ما نعلم مقدار أصالتها ودعامة بقائها والتي من أهدافها بث رسالة جديدة في الحياة، ومن تلك الأثار فن المقامة الذي عرف منذ القدم ،ولما كانت الكتابة والقراءة أقل شيوعا عند العرب في الجاهلية لم يكن لفن المقامة دور مهم في حياتهم الأدبية و الإجتماعية في ذلك العصر خلافا للفنون الأخرى، مع تطوره وازدهاره في العصور التالية ،وهدف كتاب من هذا الفن هو حمل رسالات إنسانية للعالمين أجمع .

ويعتبر فن المقامة من الآداب العالمية، وهو فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته ومهارته الكتابية ،ولا تكاد تخلوا أمة من هذا النوع في ثراتها ، فهو يترجم الخيال من سرائر النفس للكاتب إلى الواقع، فينطق بها اللسان وتخطها الأنامل ويدونونه في الكتب حفاظا عليه لزمن طويل .

بالإضافة إلى ذلك فإن هذا اللون من الأدب له مضامين تعبيرية راقية تجعله يتنافس مع الشعر عبر العصور وذلك لإمتلاكه خاصية الإيقاع التي تختلف عن الشعر في هز قلوب سامعيها وجذب انتباههم، لأنه يتسم بقيمة لا تقل عن الفنون الأدبية .

وتختلف الدراسات لهذا الفن ، فنجده حاضرا في كل عصر ومنها : فن المقامة في العصر العباسي، وكذلك فن المقامة في الأندلس وغيره فقد عني بعدة دراسات في شتي العصور .

وهذا يبين أن للمقامة مكانة كبيرة وعميقة وسط الأنواع الأدبية ، فيعتبر بمثابة الغوص في أعماق التاريخ، وما تركوه كتابها من أعمال وهم في حالة صفاء ذهني والتي تخاطب الذات الشاعرة

لأن فن المقامة يعمل على إحياء المشاعر والعواطف بعبارات موحية وألفاظ جميلة التي تشحن النفس وتأثر فيه .

ولهذا السبب أردنا أن نقف عند هذا الفن في محمد الجزائري أدب البشير الإبراهيمي في الأدب الجزائريّ ، فالإبراهيمي استطاع عرض العديد من المقامات ذات الموضوعات الاجتماعية، السياسية والدينية وغيرها بمستوى رفيع وتفنن في مقاماته وأبدع فيها ومن أهم مقاماته مقامة :"مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة مقامة تعزية لأبناء وطنه والأمة الإسلامية جمعاء ، إثر مصابها الجلل بوفاة الشيخ والعلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله فهو من رجال الدين والإصلاح وخادما للأمة الإسلامية.

ومع ظهور عدة أنواع أدبية في الجزائر في الأدب الجزائري، جعلتنا نطرح التساؤل وهو كالآتي:

هل النص رسالة أم مقامة أم مقالة ؟

وماهي أبرز السمات الفنية في المقامة ؟

و من أهم الأسباب التي دفعتنا للقيام بهذا البحث هي:

أولا اختيارنا لمقامة " مناجاة مبتورة لداوعي الضرورة "للإبراهيمي لأنها نموذج مثالي لفن المقامة في الأدب الجزائري لأنها ذات إنفعال وجداني صادق وذات قيم شعورية وتعبيرية راقية عكست المستوى الإبداعي للكاتب .والسبب الثاني هو محاولة إثراء الدراسات الحديثة لمقامات الإبراهيمي وأهم السمات الأسلوبية والفنية في مقامته.

وقامت خطة بحثنا الموسومة بفن المقامة عند الإمام الإبراهيمي مقامة "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" نموذجا- دراسة فنية —وعلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

فانطلقنا في بحثنا بتمهيد الذي تطرقنا فيه إلى الملامح العامة في الأدب الجزائري ، والمبحث الأول وسم بالمقامة تعريفها وأنواعها في الأدب الجزائري ويندرج تحت هذا المبحث مطلبين ، فالأول جاء بمفهوم ا لمقامة لغة واصطلاحا أما المطلب الثاني ففيه أنواع ا لمقامات في الأدب الجزائري وتنوعت مواضيعها بين السياسية والاجتماعية والدينية هدفها الوعظ.

أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى الدراسة الفنية ، فسعينا إلى إبراز السيمات الفنية فيها وجاء في ثلاثة مطالب ، الأول فيه لغة المقامة من حيث أسلوب الكاتب وألفاظها وتراكيب الجمل الخبرية والإنشائية ومدى أهميتها في خدمة السياق العام للمقامة والثاني الذي يحتوي على صورة المقامة من تشبيه واستعارة ومجاز، والثالث موسيقى المقامة التي طغت عليها تجسيد المحسنات البديعية من جناس وطباق وسجع اذا ساهمت في خلق الإيقاع الموسيقي للنص ، وخصص المبحث الثالث للحديث عن التناص وأنواعه في المقامة فجاء في مطلبين ، خص المطلب الأول للتناص القرآني والحديث في المقامة، والمطلب الثاني للتناص الأدبي وهذا لب الدارسة الجمالية، ثم انتهى البحث إلى خاتمة جمعتنا فيها أهم النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة .

أما عن منهج دراستنا فهو منهج يقتضي طبيعة البحث وصفي إضافة إلى التحليل وذلك من خلال التعرف على موضوعات المقامات في النثر الجزائري والإلمام بجوانب البحث، إعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع التي ساعدتنا في خدمة الموضوع وتختلف حسب أهميتها وصلتها بالموضوع فمن المصادر نذكر منها : آثار الإبراهيمي لأحمد طالب ، ،كما اعتمدنا على مجموعة من الكتب ومنها: تطور النثر الجزائري لبعد الله الركيبي ، الأدب الجزائري الحديث النهضة الأدبية الحديثة لمحمد بن السمينة.

وفي الأخير نحمد الله حمد الشاكرين الذي وهبنا عزيمة حب العلم ، كما يسعدنا أن نتقدم بخالص تقديرنا لأستاذنا الفاضل مسعود خرازي الذي لم يبخل ع نا بتوجهاته القيمة .

و ان وجد التمام والكمال فهو من توفيق الله عز وجل، وإن وجد نقصا فهو منا نسأل الله العفو والغفران فهذه طبيعة البشر والكمال لله.

تمهيد: ملامح عامة عن الأدب الجزائري الحديث

يعد الأدب الجزائري" آلة مصورة لحوادث الزمان ممثلا لحياة الشعب , فكان مفتاح عزته واستقلاله في اعتماده على الكلمة الأمينة والعلم المخلص وعزيمة الشعب فطري الإيمان بالله، اذ ساير تقلبات الدهر في زهوه وانتكاسه فكان الزبدة المخاض أنتجتها عقول الكتاب والشعراء مشكلة في جملة من الإبداعات الفنية منها ما تعلق بالشعر ومنها ما تعلق بالنثر فكانت هذه الابداعات من الظواهر الثقافية الهامة بقدرتها على هضم معطيات ذلك الواقع العميق عاكسته لمراحل تاريخية واجتماعية هامة موضحة لمضامين الحياة بينما جاء الإبداع الأدبي بإشراقة جديد مضفيا على تلك المضامين تشكيلا جماليا"[1].

وخاصة أن "نسمات الحداثة قد بدأت تهب على ربوع الجزائر مع رياح النهضة فتحركت النفوس وانطلق الأدباء يعانقون معطيات الحياة الجديدة ويصورون قضايا الواقع ويعبرون عن تطلعات المجتمع فكان عالم الوطن وعالم الأمة يستولي على اهتماماتهم ويغلب على نتاجهم، فكان الصوت الوجدان الجماعي لدى الأدباء اقوى من صوت غيره في نفوسهم مما جعلهم يسخرون أعمالهم للنهوض بالوقع والتعبير عن قضاياه." [2]

ويمكن القول أن الحركة الأدبية في الجزائر قد مرت عبر تطورها بمجموعة من المراحل هي :

1-**المرحلة الأولى**: "مرحلة الارهاص ويمكن ان تعود الى اواخر القرن التاسع العشر ومطلع القرن العشرين، ويمثلها كوكبة من الكتاب والشعراء المحافظين من أمثال : عبد القادر المجاوي (1848-1914) محمد مصطفى ابن خوجة(1865-1917) عمر الراسم(1883- 1959) المولود بن موهوب

[1] أمينة بالهاشمي ، رمز في الأدب الجزائري الحديث ،زمز الحب والكراهية عند بعض الشعراء الجزائريين الحدثين ،مقدمة لنيل شهادة ماجسيتر، جامعة أبي بكر بلقائد تلمسان، 2010-2011م ص 2 .

[2] محمد بن سمينة في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس، مطبعة الكاهنة،2003،ص 92.

1866–1926) سعد الدين خمار (1885–1952). وغيرهم... الخ. هؤلاء حاولوا أن يمهدوا الطريق أمام النهضة الأدبية ببعض أعمالهم، وذلك عن طريق الخطبة والموعظة ، يصدع بهما فكر المصلح يصحح العقيدة ويصقل الوجدان، أو بواسطة قصيدة تنبثق بها قريحة شاعر يشحذ بها العزائم على اليقظة ويرسم طريق الى النهضة أو مقال يصوغه قلم كاتب ملتزم يسلط الضوء على قضايا ومشاكل أمته، ويحاول أن يجد لها الحلول."[1]

فنلاحظ من خلال هذا القول أن هؤلاء بهذه الأعمال و الإبداعات كانت بداية وارهاصا للنهضة الأدبية.

2-**المرحلة الثانية** :"مرحلة النهضة وتغطي المساحة الزمنية ما بين الحربين من مطلع العشرينات الى 1945 وقد شهدت بداية هذه الفترة انبعاث نهضة الأدبية بظهور الصحافة وانتشار التعليم وانتشار وإحياء التراث وتوثيق الصلة بالنهضة الفكرية والأدبية في المشرق كانت على أيدي الأدباء والرواد من أمثال: عبد الحميد ابن باديس (1889–1940)محمد الإبراهيمي(1889–1965)العربي التبسي (1895–1957) رمضان حمود (1906–1929)سعيد الزهراوي (1899–1959)مفدي زكريا(1908–1977) هؤلاء كانوا دعاة ومربين ومصلحين وكتابا وشعراء فاستطاعوا ان يشقوا طريقهم في إطار حركتهم الإصلاحية إلى مصادر التراث العربي والإسلامي وكنوز الأدب العربي والإسلامي، وكنوز الأدب العربي في عصوره الزاهية، على أن الواجب يقضي من صاحب الموهبة أن يسخرها لفائدة شعبيه، لا فائدة الخاصة."[2]

ونستنتج من هذا القول أن أعمالهم كانت تهدف الى خدمة المجتمع وتوعيته وارشاده واصلاحه وخاصة في هذه الفترة .

[1] محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية في الجزائر ،مؤثراتها بداياتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، 2003، ص21.

[2] محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس، ص 93.

3-**المرحلة الثالثة** :"مرحلة التفاعل الفني 1962-1945وهي التي يمكن أن تكون بدأت أعقاب }الحرب العالمية الثانية مع عودة البصائر الى الظهور من جديد في سلسلتها الثانية ويمثلها : عبد الوهاب بن منصور (1920-2008)،رضا حوحو(1910-1956)طاهر بوشوشي(1918-)هؤلاء فتحت لهم حركة النهضة الوطنية آفاق الاطلاع على تيارات الفكرية والأدبية مختلفة فانكبوا على الاغتراف من كنوز الفكرية والأدبية متنوعة التراث، واتصلوا بتيارات النهضة القومية بالمشرق والمغرب، كما انهم اطلعوا على الثقافة والأدب الغربيين اطلاعا واعيا أصيلا وهذا ما ساعدهم على أن يدفعوا بالحركة الأدبية دفعة قوية على طريق الجيل السابق وذلك من خلال تركيز على اهتمام بالواقع ومعالجة قضاياه."[1]

من هذا القول نخلص الى أن هؤلاء الكتاب جعلوا أدبهم غاية في ارشاد المجتمع واصلاحه بعيدا عن التكلف والصنعة.

-4**المرحلة الرابعة** : مرحلة الاستقلال 1962 "وهي التي يعيش عقابيلتها في الوقت الحاضر وتميزت سنواتها الأولى بتوالي الأحداث وتراكم المشكلات وتعدد الطموحات، ويمثلها جيل معظمه من الشباب التي تمت عملية تكوينهم في ظروف استعجالية، استجابة لمقتضيات المرحلة الراهنة، وهذا كان نتيجة ما خلفه الاستعمار في الجزائر، فهذه الإجراءات الاستعجالية في هذه الفترة أدت الى اتسام مؤهلات كثير من المتعلمين والمتأدبين بقلة النضج، وانهماكهم بالحداثة والعصرنة وانبهارهم بها وارتمائهم في أوحال مستنقعاتها الفكرية والفنية المشبوهة."[2]

ومن هنا نستنتج أن معظم أعمال الكتاب في هذه المرحلة غير ناضجة وليست في المستوى وسبب ذلك الظروف التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة والتأثر السلبي بالحداثة وعدم التمسك بالتراث العربي.

[1] محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية في الجزائر ،مؤثراتها بداياتها مراحلها ، ص 22.

[2] محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس، ص 94-95.

وما يمكن أن يلخص أن" الظاهرة الأدبية متداخلة ومتشابكة، ذلك أن بعض المراحل التي عرفتها النهضة الفكرية، انما هي اطوار متصلة ببعضها البعض ومما يوضح ذلك أن معظم أدباء مراحل السابقة قد كتبوا في أكثر من مرحلة واستمروا في الإبداع والعطاء إلى وقت متأخر أمثال البشير الإبراهيمي (1889-1965) حمدي أبوا اليقظان (1888-1973) عبد السلام سحنون (1907) محمد آل خليفة (1904-1979)."[1]

وهكذا قد استطاع "الشعراء منهم أن ينجحوا في تصوير ما تضطرب به وجوه الحياة الوطنية وذلك من خلال مزاوجة في صنعتهم (البنية- لغة — وتصويرا- وايقاعا)وهي سمات يقوم عليها سمات الخطاب الشعري في العصر الحديث، كما استطاع الكتاب من جهتهم أن يعبروا تجاربهم المختلفة في ألوان عديدة من النثر فكتبوا في الخطابة والرسالة والترجمة وأدب الرحلة من الفنون القديمة وكتبوا في المقالة والمسرحية والقصة التي لم تحظى بمشاركة واسعة على خلاف المقالة وهذا نتيجة تأثرهم بالتراث وعدم الاتصال المباشر بالأصول الحديثة لهذه الفنون الغربية التي تصطبغ به في بعض مضامينها من أفكار مشبوهة وأهداف مغشوشة."[2]

ومع ذلك فقد ساهم بعض الكتاب في بعض أشكال القصة "فكتب الزهراوي المقال القصصي والصورة القصصية وجمع ذلك في كتابة الإسلام في حاجة إلى الدعاية والتبشير وكتب محمد بن عابد الجيلالي (1890-1967) مجموعة كبيرة من الصور القصصية، لنشر معظمها في الشهاب، ثم جاء بعد هؤلاء الرواد في الفن القصصي كتاب الجيل خمسينيات رضا حوحو، عبد المجيد الشافعي، عبد الوهاب بن منصور، محمد طاهر بن عاشور(1879–1973) وغيرهم فأتيحت لهم الإفادة من الثقافة

[1] محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 98.

الغربية بطريق مباشر، فواصلوا الإبداع عن طريق جيل النهضة فنما على أيديهم ما كان قد غرس بذوره هؤلاء الأدباء الرواد في حقول النثر من الفنون الحديثة"[1] منها:

أولا : فن القصة

هي لون من ألوان النثر الأدبي " هي التي تعبر عن موقف أو لحظة معينة من الزمن في الحياة ويكون الهدف التعبير عن التجربة إنسانية تقنعها بإمكان وقوعها."[2]

ولم يخل أدبنا الجزائري من القصة بمفهومها البسيط، إلا أن تطورها كان متأخرا، وذلك لعدة عوامل:" تنحصر بين السياسة والاجتماعية والثقافية بإضافة إلى مسألة اللغة العربية التي تعرض لصعوبات أشهرها الاستعمار الذي حاول القضاء عليها وعلى روحها وقد انعكس هذا على الأدب عامة والقصة بصفة خاصة وذلك أن القصة القصيرة كفن أدبي تحتاج الى لغة مرنة متطورة، لغة تستطيع أن تعبر في يسر عن أدق الخلجات وأعمق المشاعر بأشكال متنوعة حية."[3]

بإضافة إلى عوامل أخرى أعاقت ظهور القصة في بلادنا وهي التقاليد وأبرزها:" ما يتعلق بالمرأة في المجتمع اذ كانت معلقة لا يسمح لها باختلاط، ولهذا كان من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة ، أو تتعرض لموضوع وما أدى إلى ذلك فوضع المرأة في المجتمع وطبيعة الحياة التي كان يحييها الشعب الجزائري تحت الحكم الاستعماري المباشر طبعت المجتمع بطابع الجدية الصارمة، مما أثر في الإنتاج القصصي وكان عائقا أمام تطور القصة."[4]

[1] محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار عبد الحميد بن باديس، ص 99.

[2] عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة ، دار الكتاب العربي ،الجزائر2009، ص133.

[3] المرجع نفسه ، ص 18.

[4] المرجع نفسه، ص 26-27.

وهكذا فإن القصة في الجزائر ظهرت في أشكال بدائية فيما يسمى بالمقال القصصي، والصورة القصصية.

ثانيا : فن المسرح

هو فن جديد" ولج حضرتنا في النهضة الحديثة التي اعقبت الحملة الفرنسية على مصر، واذ أردنا الحديث عن المسرح له أصوله وأدبه، فعلينا أن نسقط من حديثنا ألوان الملاهي الشعبية التي قد تحتوي مشابهة من الفن ولكنها تختلف عن غيره من ألوان التسلية الشعبية، كخيال الظل وأعمال المقلدين والشعراء الشعبيين ،فمثل هذه الألوان لا تندرج في هذا الفن حدث بعض عناصره التشكيلية."[1]

وظهر فن المسرح في الجزائر" بعد زيارة الفرقة المصرية على رأسها جورج الأبيض، غير أن هذا المسرح توقف لأسباب ضعف مستوى اللغة العربية عند الجزائريين، ومع هذا فإن زيارة الفرقة جورج الأبيض كان لها أثرها في الأوساط المسرحية، وبدأ المسرح الجزائري يخطوا خطوات جدية ،بحيث مثلت مسرحيات ذات مضامين جديدة وتكونت فرق مسرحية وفنية استمر إلى غاية 1926."[2]

ومن هنا نخلص إلى أن المسرح ساهم في تطوير الأدب الجزائري من خلال معالجته لقضايا الواقع الجزائري.

ثالثا : فن المقالة

المقالة فن من فنون النثر التعبيري، ظهرت في الأدب العربي مع ظهور الصحافة متأثرة بالمقالة في الأدب الغربي، وتتناول كل ماله صلة بالجوانب الأدبية والاجتماعية والسياسية والنقدية.

[1] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، 1830-1947،دار الكتاب العربي، د ط،2009 ، ص 195.

[2] المرجع نفسه ، ص275.

فهي "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب."[1]

والذي أدى إلى ظهور المقالة في الأدب الجزائري، وهي "ظروف التي مر بها الشعب الجزائري جراء الاستعمار من تخلف استبداد وظلم وجور اضافة إلى مشاكلات الاجتماعية كالفقر، وهذه الظروف سببا في أن يتجه الأدب الى هذا الأسلوب فالمناخ كان مناخ غليان فكري وسياسي واجتماعي ذلك أن الضغط الاستعماري كان شديدا على الفرد والمجتمع شاملا للجميع من جمعيات وأحزاب فكان النضال السياسي وكانت جمعيات الثقافية وخاصة جمعيات علماء الحركة الإصلاحية بوجه عام تكافح بواسطة المقال الإصلاحي الصرف، ثم بالمقال الأدبي الإصلاحي."[2]

وهناك نوعين من كتاب المقالة :" نوع اهتم بالفكرة وتوصيليها بأسلوب صريح مباشر والاهتمام باللغة وأصالتها والعناية بالأساليب العربية والبيان العربي دون الاهتمام بجمال التعبير الذي يقتصد من ورائه اللذة الأدبية ومن كتاب هذا النوع :عبد الحميد بن باديس، العربي بن مهيدي مبارك ميلي، عمر الراسم، والطيب العقبي، أما النوع الثاني : عنوا بالتعبير والتصوير، واهتموا باللغة من حيث الاتحاد وجمال التعبير ومراعاة الصورة البيانية."[3]

وهكذا قد أسهمت المقالة الأدبية في إثراء الحياة الأدبية في الجزائر، و ذلك من خلال رصد الواقع وتغييره، وعبرت عن موقف الكاتب الجزائري نحو قضايا شغلت اذهان الناس، بحيث تنوعت الأساليب وتنوعت الموضوعات.

رابعا : فن الخطابة

[1] محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة ، بيروت، ط4، 1966، ص 95.

[2] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 161.

[3] المرجع نفسه، ص 163.

الخطابة تعد من" الفنون العربية وأهمها ارتباطا بواقع الحياة العربية، سواء في الجاهلية، أو فيما بعدها من عصور الدعوة الإسلامية، لقد شكلت عاملا قويا أساسيا في استمرار هذا الفن وازدهاره فقد غدى من أعظم الوسائل الوعظ ودعوة الناس إلى الإسلام، واستمر كذالك ما بقيت دعوة الإسلام مستمرة، يتراوح مستواه بين القوة والضعف على حسب الواقع الحضاري والأدبي العام."[1]

وقد مرت الخطابة كغيرها من الفنون التي عرفها الأدب العربي بمحطات فمن الإزهار إلى الانحطاط إلى الانتعاش من جديد، أما في الجزائر فقد مرت بهذه المحطات وذلك إلى "غاية ظهور الأمير عبد القادر وبعض المثقفين الجزائريين الذين ملكوا ناصية القول وأدركوا خطر الخطابة في الدعوة إلى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الأعداء خاصة أن الفترة كانت تساعد على هذا اللون من النشر."[2]

ويمكن القول أن الخطابة "استندت على التراث العربي القديم وتأثرت بأساليب عريقة حيث استخدم أصحابها السجع أحيانا، واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة وتحررت من الزخرف الفظي ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة فأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الأدب العربي الجزائري ."[3]

ومن هنا نخلص إلى أن الخطابة استخدمت كأداة لتصوير الواقع بحث عكست ما كان في البيئة الجزائرية من ظروف اجتماعيه وسياسية وعملت على نشر أفكار ومبادئ وأهداف آمن بها الشعب الجزائري.

خامسا : فن المقامة

[1] عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند الإبراهيمي ، بيت الحكمة ، العلمة الجزائر، ط1، 2009، ص 45.

[2] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 16-17.

[3] المرجع نفسه ، ص 17.

لقد ظهر فن المقامة في النثر الجزائري "نتيجة ارتباطه بالتراث العربي فكان من الطبيعي أن يطوعوا الأدباء الجزائريون هذا الشكل لأفكار جديد تناسب العصر، وأن يتجاوزوا وظيفة المقامة التقليدية وهي العناية باللغة العربية وأساليب البيان العربي إلى نقد الواقع ورصد حركة المجتمع و تطوره الفكري والثقافي والاجتماعي."[1]

فالمقامة في الأدب الجزائري كغيرها من الفنون" شهدت فترات انطلاق وفترات انحطاط مثلت نماذجها الضعيفة تجربة ابن حمادوش بينما مثلت نماذجها الجيدة تجربة الوهراني قديما، وتجربتا الديسي و الإبراهيمي حديثا."[2] ومن مقاماته مقامة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة التي نشرت في العدد 76في جريدة البصائر 18أفريل1949وقد كتبت في أفريل1941." [3]

يقول محمد الغسيري في كتاب آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي :"ولما مضت سنة على موت الأستاذ، ورفيقه في المنفي، أرسل الرئيس الجليل من منفاه هذه المقامة إلى مقيمي الذكرى الأولى لابن باديس وتلاها في حفل مختصر كاتب هذه، فأبكت العيون، وجدّدت الأسي."[4]

فوظيفة المقامة في الأدب الجزائري عموما :" فكرية وتاريخية ،سياسية، ثقافية، اجتماعية وترفيهية تراوح فيها البناء الفني بين التقليد والتجديد، على مستوى الموضوعات والشخصيات والأسلوب نفسه."[5]

---

[1] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 87.

[2] عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب الجزائري، خلال القرنين خلال القرن التاسع عشر والعشرين، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية،العدد23-2000م، ص 329.

[3] أحمد طالب ابراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 2،1940-1952، دار الغرب الإسلامي ، ط1، ص 53.

[4]المرجع نفسه ، ص 54.

[5] عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب الجزائري، خلال القرنين خلال القرن التاسع عشر والعشرين ، ص 329.

المبحث الأول:المقامة تعريفها وأنوعها

فن المقامة "من أهم فنون الأدب العربي، وخاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به وهي غاية التعليم والتلقين للناشئة، وهي صيغ حليت بألوان البديع وزينت بزخارف السجع."[1]

ومن هذا القول وجب علينا أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للمقامة:

المطلب الأول: المقامة لغة واصطلاحا

أولا: المقامة في اللغة

المقامة هي" المجلس والقوم. [2]" المقام و المقامة" الموضع الذي تقيم فيه، وقيل الإقامة والمقام بمعني الإقامة. أو موضع القيام، واما المقامة (بفتح الميم الأولى)فهي المجلس أو جماعة من الناس في مجلس وهي بذلك تعني المكان أومن يقيمون في مكان ويجتمعون فيه وقد وردت لفظة مقامات بمعنى المجالس في قول سلامة بن جندل السعدي مفتخرا بقومه يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير الى أعداء تأويب." [3]

ثانيا: المقامة في اصطلاح

هي فن من فنون النثر الأدبي، "وهو فن له بناؤه الخاص وخصائصه الفنية."[4]

---

[1] لجنة من أدباء الأقطار العربية، ، الفن القصصي ، المقامة، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص 5.

[2] محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم فيروز أبادي، القاموس المحيط، شركة القدس للنشر والتوزيع، دب، ، ط1، 2009، ص1197.

[3] فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط1، سنة 2009، ص 106.

[4] المرجع نفسه، ص 106.

والمقامة هي:" قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكد، ومتسول لها راو وبطل تقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبية، أو مسألة دينية ، أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في اطار الصنعة اللفظية والبلاغية."[1]

ثالثا: خصائص المقامة الفنية

لكل جنس أدبي خصائص تميزه عن باقي الفنون النثرية وخصائص المقامة تكمن في أنها:" تتسم بالمزاوجة في استخدام النثر والشعر وتوظيف الشعر في خدمة الهدف الذي يسعى اليه الكاتب ،كما أن كتابها يحرصون على ابراز مهارتهم اللغوية في استخدام الصور البيانية المعتمدة على التشبيهات والاستعارات والكنايات ، ووضوح المعاني على الرغم من الإكثار من المحسنات البديعية، فكاتب المقامة يهتم بالمعنى الى جانب اهتمامه باللفظ، وتتسم بالصنعة والتكلف ويغلب عليها السجع مع استخدام الفنون البديعية الأخرى كالجناس والطباق والمقابلة ،كما أنها تتسم بالتأنق الشديد في اختيار الألفاظ وعبارات لإبراز أفضل المعاني."[2]

المطلب الثاني: أنواع المقامات في الأدب الجزائري

يعد فن المقامات من الفنون الأدبية التي لم تأخذ حقها مثل باقي الفنون الأخرى في الأدب الجزائري وتعددت مواضيعها في عدة جوانب منها اجتماعية ، سياسية ، دينية لتخدم الغاية من وجودها وتهدف الى الوعظ والإرشاد والتعليم ، واهتمت المقامات في العصر الحديث في الأدب الجزائري بالقضايا الوطن نتيجة الاستعمار الفرنسي وهناك ثلاثة أنواع من المقامات في النثر الجزائري وهي المقامة الصوفية والأدبية والإصلاحية ثم الشعبية.

[1] يوسف نور عوض ، فن المقامة بين المشرق والمغرب، دار الفهم، بيروت لبنان ، د ط،د.ت، ص8.

[2] فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها ، ص 111.

أولا: المقامة الصوفية

المقامة الصوفية " هي التي عبر فيها أصحابها عن نزاعاتهم الروحية مثلما عبروا عن ذلك بالشعر والنثر الصوفيين ، وكتبوا ما يمكن أن يعتبر مقامة أدبية صوفية " [1]ومن علمائها وهو الأمير عبد القادر الذي اهتم بالشعر والنثر ونشر مقامته في كتاب(المواقف)وصور فيها الموضوع الذي أتعب المتصوفين طويلا وهو موضوع الحقيقة الإلهية."[2]

فاعتمد الكاتب على" أسلوب صوفي غامض وألفاظه صوفية اعتمدها في مقامته الإلهية بحيث يتطلق الى وصف الرحلة التي قام بها بطله بحثا عن المجهول."[3]

أما البطل" فعادة ما يكون الكاتب نفسه ورحلته في البحث عن الحقيقة وغياهب المجهول ، وهذه الرحلة إنما يقوم بها البطل بحثا عن الذات الإلهية والوصول إلى الحقيقة ، وهذه المقامة أشبه ما تكون بالرحلة الدائرية من الأرض إلى السماء ، ثم من السماء إلى الأرض ، والحركة فيها ليست حركة بالمعنى المألوف ، أي ليست بالجسم إنما بالروح[4]".

لقد كان" الأمير عبد القادر في هاته المقامة يناقش المسائل الروحية بطابع صوفي ، وقام بتعريف الفكر الصوفي مصطلحاته وألفاظه وأبعاده الفكرية ، وهنا يلتقي مع الزمخشري في مقاماته الوعظية لأن كلتا المقامتين غرضهما الوعظ والإرشاد."[5]

---

[1] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص88.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

[3] ينظر: عبد الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص، 89.

[4] فتيحة بن عمومه، المعجم اللغوي لمقامات محمد البشير الإبراهيمي، مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علوم اللسان اللغوي ، جامعة لخضر، باتنة، - 1433- 1434، ص 29.

[5] المرجع نفسه، ص 29..

ثانيا: المقامة الشعبية

هي لون جديد في" النثر الجزائري الحديث ، كتب بطريقة جديدة وأسلوب جديد عالجه الكاتب "محمد بن علي[1]" الذي أطلق على مقاماته العوالية في أخبار العلالية على لغة المغربي فكتبها من السبعينيات من القرن الماضي."[2]

كتبت هذه المقامات" بلغة متصافحة بين تجمع بين العامية والفصحى وتبزر أهميتها في القضايا التي عالجتها وفي المشاكل التي عرضت لها وصورتها وهي قضايا التي تعطينا فكرة واضحة عما يجري في البيئة الجزائرية وفي المجتمع الجزائري."[3]

وغرض الكاتب من هذه المقامات هو:" احداث اللذة اللفظية باصطناعه أسلوبا معينا يعنى فيه بالفكاهة والتصوير واختياره لغة وسطا تجمع بين العامية والمعربة الفصيحة."[4]

كما أن الكاتب يهدف إلى إعادة الصفاء للغة العربية في ألفاظها وتعبيرها وصقلها صقلا يعيد لها بهائها المشرق."[5]

ثالثا: المقامة الأدبية

أشار عبد الركيبي في كتابه تطور النثر الجزائري الحديث "إلى أنه قد عثر على واحدة من هاته المقامات يعود تاريخها 1903 كتبها "عمر ابن ابرهيميات."[6]

---

[1] محمد بن علي الجباري، كاتب وأديب من غرب الجزائر، ولاية وهران، ولد في أوائل الستينيات الاحتلال الفرنسي ، تاريخ وفاة مجهول.

[2] عبد الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 103.

[3] المرجع نفسه، ص 103.

[4] عبد الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 106.

[5] المرجع نفسه، ص 105.

[6] ابن ابراهيميات ، كاتب جزائري، له عدة كتابات نثرية، ومن الذين ارتبطوا بالتعليم في المدارس الفرنسية

تحت عنوان مقامه أدبية." [1] فهذه المقامة تعالج الأدبية "موضوع الصراع بين المستشرقين وعلماء المسلمين فيما يتعلق والفك والأدب والتراث العربي والإسلامي."[2]

تطور موضوعها ومضمونها" في العشرينيات من هذا القرن لظروف معروفة وفي مقدمتها ظهور الحركة الإصلاحية ودعوتها إلى النهوض واليقظة بل وتطورت أيضا في أسلوبها أيضا بسب النهضة الأدبية التي ساعدتها على إحياء اللغة العربية."[3]

ومن كتابها أيضا " محمد صلاح حبشاش المولود سنة 1904 بولاية قسنطينة متوفي 1941 مقامته هي إفراز القلوب نشرها بجريدة النجاح سنة 1927. وهذه المقامة تهدف الى الإصلاح والتربية، وكذلك من كتاب الذين تطرقوا إلى فن المقامة في الأدب الجزائري خلال القرن العشرين أمير البيان الشيخ محمد الإبراهيمي (1889-1965)."[4]

[1] فتيحة بن عمومة ، المعجم اللغوي في مقامات الإبراهيمي، ص30.

[2] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص92.

[3] المرجع نفسه، ص 92.

[4] عمر بن قينة ، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري خلال القرنين التاسع عشر والعشرون،ص315-324.

المبحث الثاني : الدراسة الفنية

تعد الدراسة الفنية للنصوص الأدبية من القواعد الأساسية للوصول إلى هدف كانت وفهم نصه وأسراره المختفية ، وراء لغته وأسلوبه ، وألفاظه التي يستعملها في بناء نصه ، وهذا وما ندرسه في مقامة الإبراهيمي "مناجاة مبقورة لدواعي الضرورة "، وهي مناجاة قبر صاحبه الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

حيث اتسمت هذه المقامة بقدرة عظيمة في " التعبير وميله إلى الجزال والفخامة وتعدد بين الأساليب البلاغية كالجناس والطباق والجناس والسجع والتشبيه والإستعارة وما إلى ذالك من أنواع البديع والبيان ، كما أنه ينتمي إلى مدرسة البلغاء العرب وكتابتهم وخطابهم المشهورين بالقدرة على توليد المعاني والإحتفال الذي يأتي عفوي الخاطرة أو يقصد ذاته أحيانا."[1]

حيث تفنن في مقامته أنواع من الأساليب التعبيرية الراقية لموهبته الفذة وذوقه جميل الذي ساعده في ذلك.

ومن ذلك تتم دراسة مقامته من الناحية اللغوية من ألفاظ وأسلوب ، وعلم البيان من استعارات وتشبيهات " فهو وسيلة أكيدة من وسائل التصوير الدبي بل خلق جمالي من التشبيهات والاستعارات والمجازات."[2]

وعلوم البديع التي تتمثل "فيها الإيقاع الصوتي الذي يكسبه في القول جمالا ومتعة ويضفى عليه الرونق والبهجة ، لما فيه من تساوي أجزاء الكلام وتوازي المقاطع الصوتية. وتشمل الطباق الجناس ، السجع ، المقابلة، والازدواج."[1]

[1] ينظر: أحمد طالب ابراهيمي ، آثارالإمام الإبراهيمي، ج2، ص 53

[2] عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق،القاهرة، ط1، 1983، ص 29

كما تتضمن المقامة تضمينات واقتباسات من القرآن الكريم الذي استند عليه كثيرا إضافة إلى الحديث النبوي الشريف والنصوص الأدبية من شعر وأمثال.

وتتسم دراستنا لمقامة الإبراهيمي وفق ما يلي :

المطلب الأول : لغة المقامة

لكتابة أي مقامة يجب أن يمتلك الكاتب براعة في اللغة وذلك من خلال ثقافته الواسعة وفكره وإمتلاكه لأدوات الكتابة المناسبة ، والتي تساعده على الغوص في أعماق اللغة وأسرارها وكيفية توظيفها توظيفا سليما، للوصول لهدفه المراد والمقصود.

ولدراسة السمات اللغوية لمقامة الإبراهيمي لابد أن نتطرق إلى الأسلوب الذي أعتمد عليه الكاتب لأنه من المميزات الرئيسة للدراسة الفنية .

أولا : الأسلوب

يعتمد كل كاتب على الأسلوب معين لكتابة نصه الأدبي الذي ، الذي يبين طريقة تعبير وتصوير الأديب، " فالأسلوب هو طريقة الكتابة وطريقة الإنشاء أو طريق إختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير [2]".

والأسلوب" لا يختصر في الشعر ، وإنما في النثر أيضا بحيث يلجأ إلى الخيال يصور إنفعاله وعاطفته ، فيضيق دائرة الأفكار ويأخذ منها أجلها وأشملها على أسباب القوة والجمال ، ثم يفسرها

[1] عبد القادر حسين، فن البديع، ص 18.

[2] أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 1991، ص 44.

تفسيرا أدبيا كما يشاء خياله ، ويملي عليه طبع ومزاجه وبذلك نقرأ أسلوبا أدبيا خالصا تبدوا فيه شخصية الكاتب أشد وضوحا."[1]

ويجب أن يكون للأديب وزاد معرفي واسع وشاسع لعرض أفكاره ، ومن خلال أسلوبه المعتمد فتختلف الأساليب من أديب إلى آخر فهذا راجع "إختلاف الشخصيات الأدباء من حيث أذواقهم ومواهبهم العقلية، ودرجة إنفعالهم وطبائعهم الخشنة والرقيقة ، وطريقة تفكيرهم وتصويرهم "[2].

ومن هنا نجد الإبراهيمي في مقامته أسلوب سلس ذو جودة في تناسق الألفاظ وانسجامها وهذا يرجع الى امتلاكه ثقافة ومعرفة كبيرة في الأدب العربي ولغته الراقية :"فإذا رأيت أسلوب الإبراهيمي ، قويا جزلا و متينا رصينا فبما حفظ للشنفري وأمرؤ القيس، ولن جاء بعدهما من فحول الشعراء، العصور الأدبية المختلفة. "[3]

وهذا ما جعل أسلوب الإبراهيمي راقي وبيانه ساحر ذو ألفاظ منتقاة ساهمت في إبداع في نصوصه الأدبية .

أما إختيار الأفكار وتنسيقها وإيثار الكلمات الدقيقة والجمل الواضحة فذلك "عمل أسلوبي لأنها طريقة يقوم بها الكاتب متأثرا بموضوعه "[4].

وهذا ما وجدناه في مقامته البكائية لابن باديس ذات الطابع الحزين ولغة مليئة بالعواطف الصادقة والوفاء له ، والمشاعر الجياشة والرقيقة ، وإدخارها بالصورة الفنية الرائعة " يمثل المقامة الأدبية

[1] المرجع نفسه، ص 51

[2] أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، ص 54.

[3] عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي، المعاصر في الجزائر(1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص127.

[4] أحمد الشايب ،الأسلوب دراسة بلاغية، ص51.

التقليدية التي يعني صاحبها بالصياغة الفنية والبيان الناصع والتعبير الجميل " [1]. جعلته ينافس العديد من البلغاء المشهورين في سمات الأسلوب ، من جزالة الألفاظ وإتساقها وإنسجامها وتراكيبها في الأساليب البلاغية.

كما غلب على أسلوبه في المقامة، وأحكام التركيب، بحيث وجود كثرة الغريب ، لابتعاده عن اللغة المألوفة ،وذلك لتوظيفه الألوان البديعية والبيانية.

كما اتصفت مقامته بالرثاء ذات أسلوب لين ورقيق ولغة ذات نزعة كئيبة أبدت لنا صلة القوية التى تجمع الإبراهيمي بصديقه إبن باديس وقمة الإخلاص ومحبة له بحيث عمل على " وصف الكارثة وتفخيم آثارها وذكر فضائل الميت واتخاذ مصرعه موعظة"[2].

فأسلوب الإبراهيمي يتميز بالبراعة وقوة الإقناع ، بحيث ضاهى أس اليب الأدباء بمساعدة لغته الراقية " ليست الذاكرة وحدها هي التي تصنع الأسلوب لأنها لا تعدوا ، أن تكون أداة مساعدة للأديب أو الشاعر على التزود بالثروة المختلفة والقدرة على الإبداع والتصور والأداء الفني السليم. "[3]

لاكتشاف خبايا لغة الإبراهيمي وما تشير إليه في مقامته وجب علينا دراسة الألفاظ التي بنى بها نصه الرثائي.

أ -الألفاظ :

حتى تكون الألفاظ والمعاني متناسقة ومنسجمة لابد من إختيار الألفاظ المناسبة وإنتقائها تساهم في سبك الكلمات وتنظيمها وترتيبها وتملئ المعنى جمالا وقمة في البلاغة " فاللغة هي ظاهرة

[1] عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص46

[2] أحمد شايب ، الأسلوب دراسة بلاغية ، ص 82

[3] حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية، من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، مقدمة في نيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2013-2014، ص241.

الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، هي أول شيء يصادفنا وهي نافذة التي من خلالها نطل، هي المفتاح الذهبي الصغير ، الذي يفتح كل الأبواب ، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق. "[1]

وانتقاء الألفاظ المناسبة توصلنا إلى عمل أدبي إبداعي وصاحبه ذو موهبة عظيمة وذوق رفيع كما يقول ابن أثير :"اعلم أن العرب كما كانت تعتني بألفاظ فتصلحها وتهذبها ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرا في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بألفاظ لأنها كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها ، أصلحوها وزينوها ،وبالغوا في تحسينها ، ليكون لها وقع في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد. "[2]

فاهتمام بالفظ هو ذاته الاهتمام بالمعنى ويهدف الأديب إلى ايصال المعنى المطلوب والمقصود الى ذهن القارئ ، فيقول ابن رشيق :" اللفظ جسم روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفة، ويقوى بقوته. "[3]

والألفاظ التي يوظفها الكاتب هي التي تبين لنا مدى تساوي بين اللفظ والمعنى للوصول إلى المقصود " فمطابقة بين اللفظ والمعنى تحقق بالتعبير الطبيعي الذي يترك فيه الأديب نفسه على سجيتها دون أن يعمد إلى الصنعة الشاذة او تكيف ممقوت ، فيكون في ذلك المساواة وصدق الأداء وتنوع العبارات حسب الموضوع والشخصية. "[4]

[1] عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، د.ت، ص173.

[2] ابن الأثير، تح، أحمد حوفي، بدوي طبانة، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2،دار النهضة ،مصر،ط2، دت، ص65.

[3] أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية، ص165.

[4] المرجع نفسه، ص166.

فالألفاظ عندما تكون جيدة في سبكها ونظمها يكون التعبير فيها فني وجميل وأنيق يؤثر في المتلقين في زعزعة قلوبهم، وما يزيدها رونقا هو أن تحتوي هذه الألفاظ من إيقاع وصور وظلال " معتمدا في ذلك متألفه النفس ويقبله الطبع ، مقبلا على ما يستجلي حسنه النظر ويستجلي ذكره السمع."[1]

من هنا فإن الإبراهيمي اختار الألفاظ المناسبة والمتناسقة مع المعنى الذي يريد ايصاله للسامع ، الألفاظ التي تحمل في طياتها آسى وحسرة عميقين اتجاه صديقه ابن باديس ، صديق الروح والألفاظ المليئة بأحاسيس والمشاعر وما تختلجه نفسه من وفاء وصدق وعاطفة حارة ورقيقة ، وأسفه لفقدان الجزائر لأعظم شخصية في تاريخها.

فكان ذو انفعال كبير في ألفاظ وإنتقائها ذلك أن " العلاقة بين الإنفعال العبارة هي التي تفرض على الأديب أن يستخدم لفظا دون آخر حتى لا يفقد منه هذا الصدق الفني المطلوب في كل أثر أدبي رفيع. "[2]

كما أنه حرص على تناسق العبارات وتلائمها "فاللغة لدى الأديب وسيلة وهدف. "[3]

فنجد الإبراهيمي وظف ألفاظ تعبر عن حالته النفسية بالعديد من الألفاظ الحزينة وذلك في قوله : "سوافح من العبرات ، لوافح من الزفرات ، الموت، سكان المقابر ، ساكن الضريح ، كسر القلوب ، شيعوا ، جفن قريح، شهدة تجريح ، خيالك وذكراك ، شجون ملتهبة ، عزاء ، ظلام، ثراك مسراك .." ففي هذه الكلمات تعبير عما في وجدانه من يأس وألم.

[1] الشيخ أبي العباس القشقلندي، الصبح الأعشى، جزء 14، دار الكتب السلطانية ، القاهرة، مصر، دط، 1919 ص112.

[2] محمد مصايف دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص47.

[3] عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص34.

كما أن ألفاظه تميز بالبديع الذي اضفى جمالية ورنة موسيقية " فالموسيقى العامة الفخمة هي في الحقيقة صوت هذا الإن فعال النفسي الذي ملك على الكاتب شعوره الباطني ففاض على قلمه ألفاظ وعبارات "[1].ونجد هذا في قول الابراهيمي : " ايراقه واشراقه /سحائب وكتائب / العبرات الزفرات /مشاهد ومعاهد /الصرح والسرح /الصفاء والوفاء.

وهذا الإختلاف في الإيقاعات المتنوعة التراكيب المختلفة يحدث أثر بالغ لدي المتلقي وهذا " التأثير الموسيقى يختلف لشدة ولطافة بإختلاف التركيب فيأثر في النفس تأثيرا خاصا "[2].

فقد لون الإبراهيمي مقامته بالعاطفة الأخوية الصادقة والتي صورت لنا انفعاله جراء حزن عميق لفقدان صديق الدرب والتي ظهرت من خلال ألفاظه وشعوره النفسي وعظمة الحزن والآسي على فقدانه فيشترك في الحزن والبكاء عليه كل مظاهر الكون من أزهار وصباح والشجر ، الرعود والسحائب ..

فعنصر العاطفة" يعد في الأدب الدافع المباشر إلى القول ...لأجل أدائه إلى الخيال الذي هو لغة العاطفة ووسيلة تصويرها من ناحية الأديب "[3].

وبزر ذلك عند الإبراهيمي في تصوير لشخصيتين خياليتين اللتين أبدعهما خياله لتبليغ مقامته في إنجازات مآثر ابن باديس من ثقافة وأفكار وأدب حيث يقول :(سيرا على اسم الله ، سيرا روحي فداؤكما ، وأتيا بالعدوة الدنيا ، قولا صاحب القبر، فإذا مسكتما الملال، أو غشي مطيكما الكلال) فنلاحظ هنا الألفاظ جاءت على شكل خطاب تثنية للشخصيتين الخياليتين.

[1] أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية، ص 58.

[2] جرجي زيدان ،تاريخ الآداب اللغة العربية، ج1، مؤسسة الهلال، الهلال، القاهرة ،دط، دت، ص46.

[3] أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية، ص52.

كما أنه وظف ألفاظ غريبة وغامضة نوعا ما فنذكر منها : " الحجا /المهرية القود /الصيخود/لذع الهواجر /شهري ناجر /الدوالح / الشرد /القذى ..."

هذه الألفاظ الغريبة تحفز المتلقى بالبحث عن معانيها وساهمت في التناسب وتلائم العبارات إضافة إلى ذلك أنه انتهج منهج القدماء في ذكره لفضائل الميت ومدحه بصفات تليق بمقامه الشريف ومن ذلك نذكر : اللسان القوال /العزم الصوال /الفكر الجوال /عامر أعمال / صاحب العلم والجم والفضل والعد /فيضه الزاخر.

ب- الأساليب الخبرية والإنشائية:

تعد الأساليب البلاغية والإنشائية من علم المعاني الذي هو "أصول ومعارف يعرف بهما كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له. "[1]

والتي تقف على أسرار البلاغة فتساهم في حسن الوصف وبراعة الألفاظ ونظمها وسكبها وتركيبها .

أولا : الأساليب الخبرية

الخبر هو" ما يحتمل الصدق والكذب لذاته " [2] باستثناء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أو الحقائق العلمية.

ورد الأسلوب الخبري بكثرة في ا لمقامة الذي يؤكد على مدى صدق والألم الذي سكن قلبه وذلك من خلال الجمل الفعلية والإسمية التي تهدف إلى المدح والنصح الإرشاد ومن الجمل الإسمية في قوله :

[1] أحمد الهاشمي، تح، يوسف الصميلي، جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص55.

سلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة /على معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة /وعلى مدارس كانت بفيضه زاخرة /وعلى جمعيات كان شملها بوجوه مجموعا /وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير /ومشاهد كان يراوحها للخير والنفع وكانت أفاقها بأنوارها مسفرة / معاهد كانت حادي زمرها الى العلم وهادي نزاعها إلى الإحسان والسلم ،فأصبحت بعده مقفرة /ومدارس وما مدارس معهدها العلم والإصلاح مغارس ...

يسترسل فلبراهيمي في هذه الجمل صفات ابن باديس ، فجاءت هذه الجمل في حقل ديني وعلمي من مساجد ومعاهد ومدارس واذ يصفه بأجمل الصفات لأنه مهد للعلم والحركة الإصلاحية ودلت هذه العبارات على الثبات بحيث أكد لنا كفاح الشيخ ابن باديس في سبيل الوطن والعروبة بفضل علمه ومواعظه الزاخرة في جمعية العلماء المسلمين .

ويواصل الابراهيمي استرساله في الوصف وذلك في قوله :

ذكرا ذائعا في الأفواه /وثناءا شائعا على شفاه / وأثرا أزكي نماءا وأبقى بركة على الأرض /من أثر الغمام المنهل /.

يصف صديقه بشهادة أصدقائه ومن عايشوه وخلدوه في ذاكرتهم وأثره الذي تركه بينهم .

كما أن الابراهيمي لم ينسى رفقاء ابن باديس ،رفقاء الإصلاح فعدد صفاتهم في هذه الجمل:

سلام من أصحاب اليمين /سلام على إخوان كانوا زينة ناديه /وسلام على أعوان كانوا معه بناة الصرح ، حماة السرح ، سيوف الحق التى بها يصول .اجتمعت في هذه الجمل الإشتياق والذكرى للماضي.

فكان توظيف الإبراهيمي للجمل الإسمية قصد الإثبات والإستمرارية ودلالة على الفخر و الاعتزاز بصديقه.

ب- الجمل الفعلية :

وردت الجمل الفعلية في المقامة وغايتها أنها " تفيد التجدد والحدود في زمن معين مع الاختصار."[1]

وقد جات الجمل في المقامة على أنماط مختلفة من فعل ماضي ومضارع وأمر ففي الفعل الماضي ورد في قوله : التأمت حفتاه على العلم الجم والفضل العد /وطوى البحر الزخار في عدة أشبار / فأوقف ما لاحد له عنده/ واستأثر بالفضائل الغرز .

الأفعال هي : إلتأمت ، ووارى ، طوى، أوقف ، استأثر .

يقول في موضع آخر : وأجاب داعي العلم /فقلد منه ا لإسلام صارما غضبا /وفجر منه للمسلمين معينا عذبا /. في هذا الموضع وردت هذه الأفعال : أجا، قلد ، فجر.

وفي قوله أيضا : مات الإسم /بقي الرسم /أتفق الودود والكنود على فضل العلم /أردت رشادها /وأصلحت فسادها /ونفق كسادها /قومت مناداها / ملكت بإستحقاق قيادتها /وأحسنت تهيئتها للخير /حملتها على المنهج الواضح .

الأفعال الماضية في هذه الفقرة هي : مات ،بقى ، أتفق ،أردت ،نفق ،ملكت ،أصلحت أحسنت، حملتها.

اعتمد الإبراهيمي على الأفعال الماضية بصيغة "فعل" حدوث الفعل في زمن الماضي يعدد أفعال ابن باديس في سبيل الإسلام وفي سبيل العلم والعمل ، فرغم وفاته إلا أنه بقى اسمه وبقى حيا في النفوس بمآثره .

[1] أحمد الهاشمي، تح، يوسف الصميلي، جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع، ص66

كما اعتمد الإبراهيمي على الأفعال المضارعة والتي تحمل دلالة التجدد والاستمرار اجتمعت الافعال في المقامة بين الحزن والحسرة والنصح والإرشاد والفخر وذلك في قوله :سلام يتنفس عنه الأقاح بإزهاره وإيراقه /ويتبسم عنه الصباح بنوره واشراقه /وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عبيره /يتبلج به البدر التمام /.

تحتوي هذه الفقرة على مجموعة من الأفعال المضارعة وهي : يتنفس ، يتبسم ، يتوهج ، يتبلج . وفيها دلالة على وقوع الحدث في زمن الحاضر.

ومن ذلك أيضا قوله :مات الشخص الذي كان يصطرع حول النقد / ويتطاير عليه شرر الحقد / لم يمت الإسم الذي كانت تقعقع به البرد /وتتجلى به القوافي الشرد / تطنطن به الأنباء وتتجاوب به الأصداء /ولا الجلال الذي كانت تعنوا له الرقاب / وتنخفض لجلاه العقاب /يملأ سمع الزمان / ولا يبت منه إلا الحق في أمان.

في هذه الفقرة فيها أفعال مضارعة : يصطرع، يتطاير، يمت، تقعقع، تتجلى، تطنطن تتجاوب تعنوا ، تنخفض، يملأ ، يبيت : هنا دلالة على الإستمرارية وتجديد الحدث في زمن الماضي ، فإن ابن باديس سيظل خالدا في الذاكرة ولم يمت مزال حيا في قلوب الجزائرين.

وقوله أيضا: في ألسنة صدق التي بها يقول ، أبت لهم عزة الإسلام أن يضرعوا أو يذلوا /ابت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه /أو يضلوا أهلك العالم زلل العلماء فتقاسموا بشرف العلم /أن لا يزلو تشابهت السبل على الناس فاتخذوا سبيل الله سبيلا /.

ففي هذه الفقرة اعتمد الكاتب على مجموعة من الأفعال المضارعة وهي : يقول ، يضرعوا ، يزيغوا ، يضلوا ،تقاسموا ، يزالوا فهنا دلت على وقوع جدث واستمراره ، واستمرار أصدقاء ابن باديس في علمه ، فوجود "لا" النفي تدل على عدم الإستسلام واتباعهم لمبدأ الإسلام ومنهاجه.

وكذلك وردت أفعال مضارعة في هذه الفقرة في قولة :ولا فلوات يضم صداها ويقصر الطرف عن مداها /ولا السراب يترجرج رقراقه /ويخدع الظامئ مراقه.

فهنا دلالة على وجود حركة من أحاسيس عند الابراهيمي، وحرقة قلب وألم وآسى.

-كما استرسل الإبراهيمي أفعال الأمر وذلك في قوله :

سيرا / أتيا /قولا /تحللا /ادفعا .

ظغت على هذه المقامة الأفعال الماضية والمضارعة والأمر ، مع إزدخارها بالأفعال المضارعة بكثرة ، وهذا يعكس إنفعال الإبراهيمي وحركة تجدد مشاعره إزاء أنيسه التي توحي على التحسر تارة وإلى الدعوة تارة أخرى و للاستمرارية.

ثانيا : الأساليب الانشائية

تتنوع النصوص الأدبية بمختلف الأساليب الإنشائية وتتضمن العديد من الأغراض التى يعتمد عليها الكاتب من استفهام ونداء وأمر ونهي، إلى غير ذلك.

ويميل الكاتب إلى إستعمالها فخرا بجمال لغته مبرزا لنا ابداعه.

والأساليب الواردة في مقامة الابراهيمي هي:

أ- النداء : وهو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته الثمانية هي : الهمزة ،أي ، يا ،وآ، آي، أيا، هيا، وا."[1]

وورد أسلوب النداء في نص الابراهيمي كالآتي :

يا قبر عز على دفينك الصبر

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 89.

يا قبر ما عهدنا قبلك رمسا ،ووارى شمسا

يا قبر قد فصل بيننا وبينك خط التواء

يا قبر أتدرى من حويت

يا قبر لا نستقى لك كل وطفاء السكوب

يا قبر أيدري من خطك

يا ساكن الضريح

جاءت كل هذه الجمل فيها مناداة تبدأ بحرف "يا"وتكررت لفظة قبر وهي المنادي ، وساكن الضريح يقصد به الشيخ ابن باديس، فالإبراهيمي ينادي القبر بكل تحسر ويخبر بما احتوى لمكانته العظيمة في بناء الجزائر والأمة الإسلامية.

ب– الاستفهام: هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بإحدى أدواته وهي :الهمزة هل، ما، ومن ، متى ،أيان، كيف، أين، أنى، كم، أي." [1]

اعتمد الكاتب في نصه الجمل الاستفهامية للإستفسار وذلك في قوله :

يا قبر، أتدري من حويت ؟وعلى أي جواهر احتويت ؟

أيدري من خطك ؟أي بحر ستضم حفتاك ؟

أي معدن ستزن كفتاك ؟وأي ضرغامة غاب ستحبل كفتاك ؟

وأي شيخ كشيخك وأي فتى كفتاك ؟

[1] يوسف مسلم أبوا العدوس ، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان ، علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2013، ص73.

فويح للحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا ؟وويح المشيعين ماذا شيعوا؟

ومن ذا ودعوا منك اذا ودعوا ؟

إن من تركت وراك، ولم يحمد الكرى فهل حمدت كراك ؟

يا ساكن الضريح أأكني ؟ أم انت كعهدي بك تؤثر التصريح؟.

تنوعت أدوات الإستفهام في هذه العبارة بين " الهمزة، أي، من، هل "جات هذه الجمل الإستفهامية دلالة على السؤال و الإستفسار و التعجب في آن واحد، خص الإبراهيمي سؤاله للقبر في مناداته له عن إحتضان للشخصية العظيمة ذات الوزن الثقيل.

ج- الأمر :

وهو" حصول الفعل من المخاطب ، وإذا كان الأمر حقيقيا فإنه يكون على سبيل الإستعلاء والإلتزم أما تخلف كلاهما أو أحدهما فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي ويكون أمرا بلاغيا."[1]

ويأتي أسلوب الأمر لعدة أغراض منها: النصح والتوجيه والدعاء والتهديد والتعجيز.

وقد ورد أسلوب الأمر في مقامة الإبراهيمي بصيغة النداء وبغرض النصح والإرشاد وذلك في قوله:

فادفعا بالمهرية القود، في نحر الوديقة الصيخود.

سيرا على اسم الله في نهار ضاح

فاحذروا بذكراه ينبعث النشاط

سيرا روحي فداكما من رضيعي همه

[1] يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص66.

أتيا العدوة الدنيا فثم المنتجع والمراد

قولا له عني

قولا لصاحبي القبر عني

يطلب الإبراهيمي من الشخصيتين اللتين وظفهما في المقامة لتبليغ، ما في نفسه من خلجات بصيغة النداء: " سيرا، ادفعا، تحللا ،فاحذوا، أتيا، قولا " جاءت دلالة الأمر بغرض النصح والتعظيم للعلامة الراحل ابن باديس.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن استعمال الأساليب الخبرية والإنشائية عند الإبراهيمي قد أدت إلى تماسك النص وسبكه وحسن تعبير، كما تظهر براعة الكاتب.

المطلب الثاني: صورة المقامة

يعد التصوير الفني من الأساليب البيانية التي يعتمد عليها الكاتب في نصه ليبين لنا ابداعه الفني من خلال جماليات الصورة والظلال، بحيث هو الآخر يضيف قيمة جمالية للنص الأدبي.

وقد أجمع النقاد والدارسين على أن" الصورة الفنية هي الطريقة من طرق التعبير تحدث أهمية بالغة في المعنى من خصوصية ، مما تؤثر في المتلقي، وتأثيرها هي الأخرى على النص."[1]

ذلك أن التعبير في حد ذاته فن جمالي وتعبير داخلي لما توجه النفس ويتجسد في أشكال مختلفة .

وتتمحور اللغة الشعرية في ثلاثة أشكال تبنى بها اللغة وهي :"الإيقاع الموسيقى للكلمات والعبارات وصورة والظلال تم الطريقة تناول الموضوع والسير فيها بالإضافة الى أحاسيس الأديب

[1] جابر عصفور، الصورة الفنية في الثرات النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط3، 1992، ص 323.

وعواطفه التي تنمق النص وتلون الأسلوب بطريقة خاصة فالتصوير هو المشبه بالإيقاع الموسيقي في إنسجامه. "[1]

التصوير هو" نظام من الألوان يشبه في اتساقه نظام الأنغام ، وكذلك بقية الفنون لابد فيها من نظام هو جوهرها جماليا. "[2] حيث يعمد الكاتب إلى بعث حياة جديدة في أدبه من خلال توظيف الصورة البيانية من استعارات وتشبيهات ومجازات ...

ومن خلال ما سبق فإن "الصورة تعد عملية استحضار ذهني خيالي، والصورة باعتبارها شكلا من أشكال التعبير اللغوي."[3]

كما أن الصورة تحتاج إلى "طابع الجدة لتفادي التكرار الحاصل في النص وهو ما يجعل الأديب يبث حياة جديدة من خلال استخدامه لهذه الصور. "[4]

ونرى أهم ما يميز مقامة الإبراهيمي من السمات التصويرة في فن المقامة هو التشبيه والاستعارة والمجاز وتعتبر من أهم الأساليب التي بنت المقامة من نحو آخر لرسم الصورة في النص ولو لم يكن الإبراهيمي أديبا لما استطاع أن يصور لنا ما كان في نفسه من لهفة وأسى.

وأبرز ما استمت به المقامة من سمات تصويرية :

أولا : التشبيه :

"التشبيه هو إلحاق أمر بأمر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة ".[1] أي تشبيه شيء محسوس بشيء محسوس، أو شيء محسوس بشيء معنوي.

---

[1] المرجع نفسه، ص40.

[2] شوقي ضيف، في النقد الأدبي ،دار المعارف، القاهرة، ط9، 1962، ص80.

[3] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، دار الشروق، دب، ط1، 1998، ص318.

[4] المرجع نفسه، ص321.

والتشبيه هو أحد فنون البلاغة يهدف إلى اثبات الخيال بصورة المشبه به مع براعة الأديب بأسلوبه يعرفه السكاكي :"هو الجمع بين شيئين أو أشياء بمعنى بواسطة كاف ونحوها. "[2]

وللتشبيه مزايا يهدف الكاتب إلى إظهارها في نصه من خلال إبداعه ومهاراته في ايجاد المشبه والمشبه به في الصورة.

وقد استخدم الإبراهيمي في مواضع من مقامته التشبيه ونوع بين التشبيه بأداة والتشبيه البليغ الذي هو "ما حدفت منه الأداة ووجه الشبه " [3]. ويعتبر من أقوى التشبيهات إيحاءا وهو" أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة ، لما فيه من إدعاء أن المشبه هو عين المشبه به ، ولما فيه من إيجاز ناشئ عند حذف أداة و الوجه معا فهذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب، ويوحي لها بصور شتى وجوه التشبيه. "[4]

ومن التشبيهات البليغة في المقامة نذكر :

" ا لله من تو صلوا طهورها الروح والريحان " فالمشبه هو طهورها ويقصد بها الصلوات والمشبه به هي الروح وحذف وجه الشبه وأداة التشبيه ، فالإبراهيمي يبين لنا حالة الصفاء والطهارة التي استفتح بها المقامة تذكير بقيمة الفرائض التى فرضها الله أي ان التشبيه جاء توكيدا لطهارة الروح، التي خصها الله عز وجل في العالمين ووجه الشبه هي الصفاء والطهارة والنقاء ،بحيث راعى الكاتب الحالة الروحية والإيمانية، وبين أن الصلاة هي الروح.

---

[1] يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 144.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، د ط، 2007، ص325.

[3] يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص145.

[4] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985، ص105.

ومن ذلك أيضا في قوله:

"أركانها النعيم والرضوان " شبه الأركان وهي أركان الصلاة بالنعيم الرضوان وهي المشبه ، ووجه الشبه هو الإيمان والطاعة، فللتشبيه روعة وحسنا ووضوحا وهذا ما زاد المعنى في هذه الجملة تأكيدا وبيانا.

ومن ذلك أيضا قوله :

"مهدها للعلم والإصلاح مغارس " فالمشبه هو مهد المدارس والمشبه به المغارس الذي مكان وهي فيه ستغرس الأشجار أي مهد المدارس المغارس وهي جذور العلم.

ومن التشبيه بالأداة في مقامته يظهر في قول الإبراهيمي :

"وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير" ، فشبه صون ابن باديس بصوت الحق ، مع وجود الأداة وهي الكاف ووجه الشبه هي مدوياّ أي مرتفعا وعاليا فهذا تشبيه مجمل قام بتشبيه صوت المرثي بصوت الحق وهنا مشابهة ومماثلة، و ما ساعد في جمال هذه الصورة التشبيهية هي المشاعر التي أفرزها الكاتب والأحاسيس التي رسمت هذه الصورة.

ومن أيضا قوله :

"وأي شيخ كشيخك ؟وأي فتى كفتاك" ففي هذا تشبيه مجمل ، فشبه الشيخ ابن باديس في كبر سنه ومكانته، وشبه الفتى بابن باديس أيضا في صغر سنه وشبابه، وعدم وجود وجه الشبه فيها .

ومن هنا فإن التشبيهات وعلى رغم من قلتها ، اكسبت خصوصية على الإبراهيمي في مقامته وكانت نتيجة لمشاعر الكاتب ، فتفاعلت كلماته مع عواطفه وأظهرها في تعبيره ، من خلال إبداعه الذهني للصورة التشبيهية.

وكل هذه التشبيهات التي رسمها الإبراهيمي جاءت لتأكد على مكانة العلامة الراحل ابن باديس في المجتمع، وكذلك ليعبر عن مدى حبه وإخلاصه تهابكثر واتسمت لرفيقه

ثانيا : الاستعارة

تعد الإستعارة أحد أهم فنون البلاغة ، وأحد أهم أركان التعبير عن المشاعر ، فهي تعمل على إظهار التصوير وتدل على براعة الكاتب ، وعنصر منهم لا يستغني عنه أي شاعر ، أو ناثر " فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفه عن إرادة المعنى الأصلي. "[1]

وقد عرفها ضياء الدين ابن أثير بقوله :"الإستعارة هي نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طّي الذكر المنقول إليه. "[2]

والغرض من الاستعارة التشخيص والتجسيم الذي يساعد على إظهار جمال التصوير وبراعة وقدرة الكاتب.

ومن خصائصها :"أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسر من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من درر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر. "[3]

فهي تعد من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية ، وقد استخدم الإبراهيمي الإستعارات بما يخدم الصورة ويظهرها.

وقد لاحظنا تنوع الإستعارات في ا لمقامة منها المكنية والتصريحية ومن تلك الاستعارات في المقامة :

أ–الإستعارة المكنية :

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع، ص 257.

[2] عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية، علم البيان، ص 174–175.

[3] المرجع نفسه، ص196.

"هي التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفى بذكر شيء من لوازمه " [1] من عدة الاستعارات نذكر في قول الإبراهيمي :

"سلام يتنفس عنه الأقاح" فنجد الكاتب افتتح رسالته بالسلام، ألا وهو الأمان والاطمئنان والحصانة والسلامة، وقد شبه هنا "الأقاح "الذي يدل على الحسن والجمال بالكائن الحي وهو محذوف وأبقى صفة من صفاته وهي "يتنفس."

ومن ذلك أيضا قوله :"ويتبسم عنه الصباح ، "لا شك أن الصباح هو بعث جديد لحياة فهذه العبارة ألقت بظلالها أنوار من الأمل والتفائل ، والإبتسامة التى توحي على السعادة ، التى تخبر الآخرين بأنهم في موضع تقدير ،فنجد الإبراهيمي شبه "الصباح" بالإنسان وترك قرينة تدل على ذلك وهي "يتبسم."

ومن ذلك أيضا :"وثناء يتوهج من عنبره الشجر عبير " فهنا يعبر الكاتب عن امتنانه لي ابن باديس الذي كان له دور كبير في الحياة ،والأفكار النيرة التي قدمت السبق في ركب العلم والتعليم فالإبراهيمي في هذه العبارة شبه العبير بالنار، وأبقى لازمة من لوازمه وهي "يتوهج.

ويستخدم الإبراهيمي الإستعارة في رثاء ابن باديس وذلك في قوله : "وسحائب من الرحمات" فلما استعار الرحمات بالغيث، استعار الثاني للأول، رمز إليه بشيء من لوازمه وهو" السحائب " وفي اضافة الغيث إلى الرحمات، دلالة على الإغاثة والمنفعة فالسحاب كله لمنفعة الإنسان وإغاثته ونصرته.

ومن استعارته في سياق إظهار الحزن والتعبير عن التأسي يتضح ذلك في قوله :"سوافح من العبرات ..ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها وأواليها "، حيث شبه العبرات والزفرات الحارة وآهات بالسياق وترك قرينة وهي" التسابق " وفي هذه دلالة على أثر حزنه وألمه شديد ، ومن خلال هذا نلاحظ أن الإبراهيمي يشد إهتمامه بشأن أخيه .

[1] أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغية وتطورها، ص88.

ولم يتوقف الابراهيمي عند هذا الحد بل قام برثاء صديقه ابن باديس في ثوب من الإفتخار بتعديد أوصافه الحميدة ومزياه الفريدة فقال :" ووارى التراب جواهر الحجا والذكاء والعزم والجد "فالكاتب شبه الحجا والذكاء بالمرثي ابن باديس وترك صفة من صفاته وهي "ووارى ترابه."

ومن ذالك أيضا : "طوى البحر الزخار في عدة أشبار "فالكاتب يصف المرثي الذي رفع وسام الأخلاق ، والصفات الحميدة ، وأعمال التي أنجزها والجهود الثمينة والمضنية التي هي عنوان إبداعه ،فالإبراهيمي شبه "البحر الزخار والتي هي الحجا والذكاء والعزم والجد بشيء مادي وهو الكتاب وترك لازمة من لوازمه وهي "طوى."

وكذلك أيضا نجد الإبراهيمي يتحسر على مجالس التي أحياها العلامة الراحل ابن باديس التي كان هدفها هو الحرص الكبير على خدمة العامة ، وتحمل المشقة وتوعية الشعب الجزائري ، والمعاهد التي كانت بوجوده فاعلة معتنية بتعليم الناس وتثقيفهم وابصارهم بالحق والباطل ، والهدى والظلال كما أنه تحدث على الجمعيات التي كان فيها عضوا بارزا ، والتي كانت تعمل على الإصلاح ولكن بعد وفاته أصبحت خالية ، فنجد الإبراهيمي في قوله :سلام على مشاهد ..وعلى مشاهد ...وعلى المساجد ..وعلى جمعيات ...وعلى مدارس ففي هذه العبارات شبه هذه الجمعيات والمدارس المشاهد بالإنسان وترك قرينة دالة عليه وهي "السلام. "

ومن ذلك أيضا في قوله :"ومدارس ، ومدارس "مهدها للعلم والإصلاح مغارس " ففي هذه الجملة صورة بيانية مركبة من تشبيه بليغ واستعارة مكنية ويظهر التشبيه في أن الكاتب ذكر المشبه وهو "مهدها المدارس" والمشبه به المغارس ، والإستعارة تظهر في تشبيه العلم والإصلاح بالنبات ومحذوف وترك لازمة من لوازمه وهي "المغارس. "

واستخدم الإبراهيمي صورة بيانية مركبة كذلك من تشبيه بليغ واستعارة مكنية وفي هذه الجملة وهي :" وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومحارس "فالمشبه هو "شيدها المدارس ، "والمشبه به "مرابط ومحارس" وهذا تشبيه بليغ ، وتظهر الإستعارة المكنية في ذكر المشبه وهو الحق والمشبه به وهو

البناء محذوف وأبقى قرينة وهي "شيدها" وغرض الكاتب من هذا تبيان دور المدارس في زرع حب الخير وتعاطف مع أصحاب الحاجات لإثارة النزعة الإنسانية وكذلك دورها في تنمية القدرات على التعاون والتعايش وخلق مجتمع واعي ومثقف ومتكامل متجانس.

وفي هذه العبارة كذلك :"فقلد الإسلام منه صارما غضبا " نجد أن الكاتب استخدم الصورة البيانية المركبة الأولى وهي المكنية ،حيث نجد أنه شبه الإسلام "بالفارس" وهو محذوف وأبقى قرينة وهي "قلد، صارما "، والثانية تصريحية حيث حذف المشبه وهو العلم وصرح بالمشبه به وهو الإسلام مع وجود لازمة وهي "قلد."

والغاية من هذه الصورة البيانية المركبة هي ايصال أفكار الكاتب إلى المتلقى ، وجعله يتفاعل مع النص في وصف ومدح العلامة الراحل ابن باديس وذكر محاسنه ودوره في التوجيه ولإصلاح والإرشاد.

ونذكر من ذلك أيضا هذه الصورة :"وفجر منه للمسلمين معينا عذبا "حيث نجد أنه ذكر المشبه وهو "العلم" وحذف المشبه به وهو "الماء" والقرينة الدالة عليه هي "معينا عذبا" ونلاحظ أن الكاتب استعار من الطبيعة وذلك لغرض وهو تأكيد على فضل ابن باديس في المجتمع وزرعه للقيم الإيجابية، وتغيره ما استطاع من قيم سلبية ، والذي ينشر بنور علمه العلم والمعرفة، فيغدوا جيلا واعيا متعلما متفقها في الدين نافعا لوطنه.

ولم يفت الإبراهيمي أيضا أن يضمن مقامته الواحدة كثيرا من ا لاستعارات المكنية فمن ذلك قوله: "فلئن ضايقته الأيام في حدود عمرة ...ولئن سلبته منه الفانية."

"فقد ألبسته من حلل الضافية " فأولى شبه الأيام بالكائن الحي وهو محذوف وأبقى لازمة وهي" ضايقته. "

والثانية شبه الحلية الفانية وهي الدنيا وحذف المشبه به وهو "العدوا" وترك صفة من صفاته وهي "سلبته" والثالثة ذكر المشبه وهو التاريخ وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه هي "ألبسته الحلل ",فالإبراهيمي وظف هذه الاستعارات بشكل متوالي ليأكد على أن ابن باديس من الذين تركوا أثرا واضحا في تاريخ الجزائر ، وذلك من خلا نضاله ضد الإستعمار بكل الطرق، فحارب الجهل وسعى إلى نشر الثقافة العربية الإسلامية داخل الوطن وخارجه من خلال اهتمام الحركة الإصلاحية بقضايا المهاجرين.

وكذلك من استعاراته في سياق إظهار الحزن والآسي على صديقه وهذا في قوله :"تعاصى كسر القلوب الحزينة" فالإبراهيمي ذكر المشبه وهو "القلوب "وحذف المشبه به وهو الزجاج وأبقى لازمة من لوازمه وهي "كسر " ليبين أثر حزنه القاسي فب فؤاده ، فالألم والحزن من الأمور الوجدانية المتعلقة بالقلب فتحولا إلى كسر.

ومن ذلك أيضا قول الإبراهيمي :"ولا نستدعي لترويض ثراك دوالح " ففي هذه العبارة الكاتب شبه الثرى بالحصان الشارد ، وهو محذوف وترك لازمة من لوازمه وهي "الترويض " فنلاحظ تنوع الألفاظ والتراكيب وهذا ما يجعلنا ندخل معه في انفعالاته وأحزانه، ولا نملك مفرا من التأثر، كما نلمس أن الكاتب في هذه الصورة أراد أن يبين لنا أن ابن باديس تشرب بالعلم والفقه الإسلامي الذي سار على نهجه ، وحمله الأمانة بإخلاص ، وتمتعه بالأخلاق الحميدة جلها الإيمان ، ودماثة الأخلاق وهذه الصفات جعلت منه قدوة ونموذجا .

وفي مقامة أخرى يضمنها الإبراهيمي استعارتين مكنيتين الأولى في قوله :"فيحملان إليه على أجنحة الخيال "هنا شبه الخيال بالطائر وأبقى قرينة وهي "الأجنحة " والثانية قوله :"شجونه ملتهبة "شبه الشجون بالنار وهي محذوفة وترك لازمة وهي "ملتهبة " فاستعارة الكاتب لهذه الألفاظ لغرض التعبير عن الوجع الضارب في أعماق نفسه، ومرارة الأم، وشعوره البالغ بالفقد، وشعوره بالنار التي في

صدره بلا لهب وقودها ذكرى العلامة الراحل ابن باديس فهذا يوحي بالحب العظيم لهذا العالم الفائض بالعلوم والمآثر، بقدر ما يعظم هذا الحب يعظم الحزن والآسي على فقدانه.

ومن ذلك في مقامة أخرى استعارتين الأولى في قوله :"بنيت عقائدها في الدين والحياة على "صخرة الحق "فذكر المشبه وهو الحق وحذف المشبه به وهو الجبال في الثبات والعلو وترك قرينة دالة عليه وهي " الصخور. "

والثانية هي :"أشربتها معاني الخير والرحمة " شبه في هذه الجملة معاني الخير بالماء وهو محذوف وأبقى لازمة هي "أشربتها "غرض إبراز ما قدمه ابن باديس من علم ووقت ، وجهد وتفان في سبيل الأمة الجزائرية وما علمه من أخلاق ، وقيم فاضلة وغرس حب العلم والمعرفة ، فكان رسولا لذلك ،أعطى كل ما لديه بلا حدود أو كلل أو ملل في رسالة العلم ، والتربية والإرشاد والإصلاح، بكل ما تحمله في طياتها من معاني، والتي في صلبها بناء للإنسان، بناء المجتمع، وبناء الوطن.

ومن بديع الإستعارة عند الإبراهيمي قوله :"تصوير الخيال " ذكر الكاتب المشبه وهو الخيال ،وحذف المشبه به وهو "الإنسان المصور " ترك قرينة داله عليه وهي "تصوير" ويقصد بها الإبراهيمي الإنسان هنا الشخصيتين اللتين من تصويره أعتمد عليها في ايصال فكرته للمتلقي.

وفي ذكره أيضا :"تمثلها الخواطر "فهنا شبه الخواطر وهي شيء معنوي بشيء مادي وهي الممثل وابقى صفة من صفاته وهي "تمثلها " وظف الإبراهيمي هذه الإستعارات لتعبير عن ما يشعر به حزن وألم بداخله.

وعرض استعارة أخرى وهي "تمثال الوفاء " شبه الكاتب ابن باديس في وفائه وإخلاصه بالتمثال الذي يرمز إلى القيام والثبات والغرض من هذه الصورة إبراز مكانة المرثي.

ومن ذلك أيضا قوله :"ويخدع الظامئ المحرق مراقه" استخدم لغة مجازية في تشبيهه للضامي العطشان بالسراب الذي يخدع ناظره فقد هنا اليأس الذي تملكه ،وحذف المشبه به وهو "السراب" وترك قرينة تدل عليه وهي "يخدع."

ومن ذلك أيضا قوله في هذه العبارة :"رضيعي همه" شبه الكاتب النضال والتضحية أي فداء صاحبيه اللذين عرضهما الإبراهيمي برضاعة الطفل وترك قرينة تدل عليه وهي "رضيعي " وهنا دلالة الرضاعة الهمة والنشاط.

ومن ذلك أيضا :"الوادي الذي طرز جوانبه آذار " ففي هذه العبارة ذكر المشبه وهو الوادي وحذف المشبه به وهو اللباس المزخرف والمتزين في جوانبه وترك قرينة دالة عليه وهي "طرز."

ومن ذلك أيضا :"وخلع عليه الصنع البديع ، من حلي الترصيع" ذكر الشبه وهو الوادي ،وحذف المشبه به وهو للإمرأة التي تتزين وتترصع بالجواهر والحلي وترك صفة من صفاته وهي "الترصيع "أي التزيين.

ومن ذلك أيضا :"ومن ثم مناخ المطايا على حلل الحق " ذكر المشبه المطايا وحذف المشبه به وهو الجد والنجاء وترك قرينة تدل عليه وهي "الحق " والغرض الكاتب أن ابن باديس من الذين كان لهم سبق في ركب العلم والجد.

وفي قوله كذلك :"ما للمقابر لا تجيب الدعي " ففي هذه العبارة ذكر المشبه به وهو " المقابر" وحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك صفة من صفاته هي تجيب."

ب– الإستعارة التصريحية :"هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه. "[1]

[1] أحمد مطلوب ،معجم المصطلحات البلاغية ،ص 88.

ومن استعارته التصريحية في المقامة قوله :"وكانت آفاقها بأنواره مسفرة " حذف المشبه وهو العلم وصرح بالمشبه به "الأنوار"، فالكاتب يؤكد على دور العلامة الراحل وعلمه الغزير الذي أضاء الدروب للأمة.

كما لا يغيب على الإبراهيمي أن يضمن المقامة الواحدة عدة استعارات التصريحية وذلك في قوله :" كانوا زينة ناديه /... بشاشة واديه / والطيب المتضوع من مجامره " الجوارح الماضية في تنفيذ أوامره "فالكاتب في هذه المقامة حذف المشبه وهو "الإخوان "وصرح بالمشبه به وهو الزينة ، البشاشة الطيب، الجوارح، فالإبراهيمي يحي الإخوان ويمدحهم على صفاتهم وأفعالهم ، واجتماعهم على الإخلاص والتعاون والمحبة مع ابن باديس فكانوا سلاحه الذي أعانه على معركة الحياة ،فكان قوي بإخوانه الصالحين الطيبين العاملين على شد عضده ومساندته وإعانته على العطاء وخدمة المجتمع.

وفي ذلك أيضا في مقامة يقول: "كانوا بناه الصرح / حماة السرح /سيوف الحق / ألسنة الصدق " فهنا حذف المشبه وهو الأعوان وصرح بالمشبه به وهو بناة ،حماة ،سيوف ، ألسنة فالكاتب يؤكد على دور الأعوان ومساندتهم لإبن باديس على نشر القيم الدينية ،والأخلاق السامية ،وتحقيق أهداف تسعى لخدمة المجتمع وتقدمه والنهوض به ، مبرزا مكارم أخلاقهم وصدقهم في القول والعمل وهذا ما زاد قيمتهم، فجعلوا كلمة الحق هي العليا، واتخذوا من السيرة النبوية منهاجا في حياتهم.

ومن ذلك أيضا :"ووار شمسا "ونحو ذلك وهو يخاطب القبر "تلتهم فلكا دائرا" وتحبس كوكبا سائرا " فالإبراهيمي حذف المشبه وهو ابن باديس وصرح بالمشبه به وهو "شمسا ، فلكا، كوكبا "فهذا يدل على الشهرة والنفع والعلو والطموح والأماني ولإبداع والإرادة ، كما أنه يتحدث على الحدث الذي ضم حافتيه ابن باديس.

وفي مقامة أخرى استعارات متتالية وذلك في قوله :"أي جواهر احتويت/ أنك احتويت على أمة /...وعلى عالم في واحد ، فالإبراهيمي حذف المشبه وهو ابن باديس وصرح بالمشبه به وهو الجواهر، الأمة، العالم وهذا ليثبت أن العلامة الراحل ابن باديس هو من ذرر الجميلة والغالية التي

فقدتها الجزائر، وأنه رجل صادق وجامع لخصال الخير والعطاء والتضحية ،المنير لدروب الظلام ،سيظل بأعماله ومآثره نبراسا وقدوة لنا.

ويواصل الإبراهيمي مخاطبا القبر في قوله :"أي بحر ستضم حافتاك/ وأي معدن ستزن كفتاك/ وأي ضرغامة غاب ستحبل كفتاك ".فهنا المشبه دائما محذوف وهو ابن باديس وصرح بالمشبه به وهو البحر فهذا يدل على السعة والإنبساط والعمق والضياء والألفة ،وشببه بالمعدن فهذا يدل على قيمته العظيمة وبضرغامة لقوته وشجاعته.

ومن ذلك أيضا قوله :"ووعدوا عامر أعمال بقفرة "، فالإبراهيمي حذف المشبه وهو ابن باديس، وصرح بالمشبه به وهذا يدل على كثرة الأعمال والإنجازات التي قدمها، والتي أصبحت بعد وفاته خالية ،كما أنه يصف أجواء تشييع جنازة صديقه الذي كان معه في كل ظاهر وباطن إلى مثواه الأخير وهكذا من الملاحظ أن الإبراهيمي اهتم بتوظيف الإستعارة المكنية والتصريحية وحرص على تدبيج مقامته بها، فقد أبدع فيها وهذا ما أضفى على الم قامة خصوصية فلولاها لأضحت الم قامة كلام عادي لا روح فيه، فأعطتها معنا عميقا فزاد المقامة جمالا و رونق، كما أنها ساهمت في تحريك الوجدان وترجمة المشاعر وحقا قد كانت أحد أهم فنون البلاغة المستخدمة لتزيين الكتابة.

ج- المجاز :

هو" كلمة أريد بها غيرها وقعت في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجور بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها وهي المجاز"[1].

وعند ابن أثير قوله :"أي نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر. "[2]

[1] عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص138.

[2] المرجع نفسه، ص 138.

ويقسم المجاز إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي :

1- المجاز العقلي :

هو" اسناد الفعل أو في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة ما وجود قرينة تمنع إرادة الإسناد الحقيقي ،والمقصود بمعناه: المصدر ، اسم الفاعل، واسم المفعول، الصفة المشبه، واسم التفضيل وهي مشتقات تعمل عمل الفعل. " [1]

واستخدم الإبراهيمي المجاز لإعانته في إنتاج معاني جديدة من الخيالة وهذه مرتبطة بثقافة المبدع وموروثه اللغوي، ومن هنا فإن مقامة احتوت على الكثير من المجاز ومنها المجاز العقلي في قوله :"أبت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه أو يضلوا "فجمالية المجاز هنا جاءت على شكل استفهام فكيف يقبل الله عز وجل أن يزاغ العبد، ويبتعد عن طريق الحق، وكلمة " الهداية " هي سبب فقط والله هو المسبب في الهداية والهداية مجاز فالعلاقة سببية فقد أسند الفعل إلى قرينة تدل عليه وهي الهداية حيث ابتكر الكاتب معنى جديد في العبارة.

وفي قوله أيضا :"أثرا أزكي نماءا وأبقى بركة على الأرض من أثر الغمام المنهل "ففي هذه العبارة أسند الفعل أثر الى مصدره أثرا بدلا من الفاعل الحقيقي وهو عبد الحميد ابن باديس المقصود فالعلاقة هنا مصدرية.

ومن ذلك أيضا :"فاحدوا بذكراه ينبعث النشاط" فالعلاقة هنا مفعولية فيه بحيث أسند الفاعل النشاط إلى المفعول به وهو مجاز ،فنقول ينبعث منه النشاط ،فالنشاط لا يحدث بذكراه وإنما هو المحفز الذي يدع للنشاط.

وفي قوله كذلك :"فإذا مسكها الملال "فقد أسند فاعل الملال من الملل إلى مفعول به فنقول مس هما الملال فالعلاقة هو مفعولية.

[1] محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب، علوم البلاغة ، البديع ،البيان ،المعاني ، المؤسسة الحديثة للكتاب ،لبنان ،ط1، 2003، ص233.

ومن ذلك أيضا :"أو غشي مطيكما الكلال "فهنا أسند الفاعل الكلال من الكلل أي التعب إلى المفعول به أي نقول غشي المطي الكلال والمطي من الدواب فالعلاقة هنا مفعولية .

وأتى المجاز في هذه العبارة :"وعز على دفينك الصبر "فقد أسند الكاتب هنا الفاعل وهو الصبر إلى المفعول به فنقول عز الصبر على دفينك فالعلاقة مفعولية ،فيعز على من يدفنك الصبر .

وقدم الإبراهيمي مجازا آخر :" رجع الجدل " وهنا أسند فاعل الجدال إلى المفعول به عن طريق المجاز العقلي فالجدال يرجع بسبب إبن باديس أرجه هو الجدال ،فالعلاقة هي مفعولية .

ومن ذلك أيضا :"يتطاير عليه شرر الحقد" اسند الكاتب الشرر وهو الفاعل إلى المفعول به فنقول يتطاير الحقد شره ،فالشر يحدث من الحقد وهو الفاعل وكذلك العلاقة هنا مفعولية.

ونجد كذلك المجاز في قوله :"كانت تطنطن به الأنباء " فأسند الفاعل وهو الأنباء فنقول طنطن الأنباء به، أسنده إلى المفعول ،فالفاعل هو المجاز إذن فالعلاقة مفعولية، فالأنباء لا تطنطن فهو عبارة عن خبر وإعلان.

فالمجاز العقلي يعبر عن سعة اللغة وقدرتها على تجازوا الحدود الحقيقية إلى الخيال فتعطي معاني جديدة وترسخه بشكل غير مباشر وتطلب من المتلقي تخيلا وتشغيل ذهنه ، كما أنه يوسع الدلالات للتخلص من المباشرة فيشعر المستمع بوجود لذة للإكتشاف.

2-المجاز المرسل :

هو " ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير تشبيه. "[1]

عند المحدثين :"هو كلمة استعملت في غير معناها الأصل لعلاقة غير مشابهة مع قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي. "[1]

[1] محمد أحمد قاسم، محمي الدين ديب، علوم البلاغة ، ص 215.

فالمجاز المرسل هو من أقسام المجاز اللغوي، فالإبراهيمي استخدم المجاز المرسل في مقامه للمزيد من البلاغة والإبداع والتأكيد وهو ركيزة الصورة.

ظهر استعماله للمجاز المرسل في قوله :

"محا الموت ما بينهم من حدود " فكلمة "محا" هي مجاز ، فالموت سبب في المحور وليس الفاعل الحقيقي والمسبب هو الله الذي يحي ويميت ، فالعلاقة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في هذا المجاز المرسل هي العلاقة السببية.

ومن ذلك أيضا في قوله :" لقد تلفتك بعدك الأعناق " فالمقصودة هنا" بالأعناق "الأشخاص أي رفقاء ابن باديس الذين كانوا يساندونه ، ففي كلمة أعناق مجاز مرسل علاقته جزئية فالأعناق هي جزء أراد به الكل وهو الأصدقاء ، بحيث غير المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي ووسع دائرة الإيحاء والرمز.

وفي مقامة واحدة نجد العديد من المجازات وذلك في قوله :مت فما مات اللسان القوال /العزم الصوال/الفكر الجوال / ففي الأول استعمل لفظة" اللسان "الدال على الجزء ويريد بها الكل وهو الإنسان أو الحكيم أو العالم ، والعبارة الثانية استخدم كلمة "العزم" وهي جزء من الثبات وعزم ابن باديس أي جزء من صفاته وقصد به الكل وهي العزيمة ، وفي العبارة الثالثة اتخذ لفظة "الفكر" جزء من العقل وأراد به الكل في علم وحكمة ابن باديس فالعلاقة في هذه الجمل علاقة جزئية.

وفي قوله أيضا :" لم يمت الإسم " فلفظة الإسم تدل على الكل أي الأسماء وهو يراد به الجزء وهو اسم ابن باديس فكلمة، الإسم" وضعت وضع مجاز وهو مجاز مرسل علاقته كلية.

ويواصل في قوله :" تتحلى بها القوافي الشرد " هنا يتحلى بالقوافي كالذي يتأمل من السراب أملا ،فهنا كلمة القوافي مجاز والقوافي هي مسببة في التزيين والتحلي ،فالعلاقة مسببية.

[1] المرجع نفسه ، ص 215.

وقوله أيضا :"مات الرسم " فكلمة "الرسم " مجاز وقصد بها أعمال ومآثر ابن باديس، وهي الموت التي سبب ، والمتسبب في ذلك هو الله الذي يحي ويميت فالعلاقة مسببية.

وفي العبارة التالية أيضا قول :" بقى الإسم " يقصد" بالإسم" هنا ابن باديس وهي تدل على جزء من اسمه وهويته فكلمة الإسم مجاز وضعت في غير موضعها فهنا علاقة جزئية .

ومن ذلك أيضا:" يا قبر ما عهدنا قبلك رسما " فالكاتب يخاطب مالا يعقل وهو القبر وكلمة "القبر" مجاز وضعت في غير معناها الحقيقي، فالقبر هو سبب في غطاء الميت ،فالعلاقة سببية.

ومن ذلك أيضا :"قدمت يداك " لفظة يداك هي مجاز وقصد به الكل وهو ابن باديس وليست" اليد "ولهذا أطلق الجزء وهي اليد وأريد به الكل وهذا ما قدمه من فضائل ، فالعلاقة هنا جزئية.

إذا فالمجاز له دور هام في بلاغة التعبير ، وهو يبعث على التأمل الذي يخلص العبارة من المباشرة والوضوح، ويفتح عدة مجالات للتخييل الذي يشكل صورا جديدة فيزيدها نضارة وحسن في الإيحاء وتفعل ذهن القارئ وتدفعه إلى قراءة النص بتمعن.

المطلب الثالث: موسيقى المقامة

إذا كان الشعر بالقافية والروي وبأنه" كلام موزون مقفى [1]" فإن النثر له إيقاع خاص ومتنوع "ولا يخلوا النثر الفني من الإيقاع الفني الذي يبلغ حد الكمال والإتساق ، ولكنه إيقاع من نوع أخر غير الذي يحتويه النظم. [2]"

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ،ط2، 2006، ص189.

[2] سيد القطب ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة ،مصر، د ط، 2006، ص 62.

وهناك قافية متحدة في بعض الفنون النثرية كالسجع ، الجناس ، الازدواج، فالموسيقى ليست محصورة على النصوص الشعرية فقط ،وإنما تتخلل النصوص النثرية أيضا بها إيقاعات مؤثرة في المتلقي والموسيقى المتعددة بأجناسها وطباقها وسجعها وهي ترجمة للروح وما تريده النفس في التعبير عنه.

وفن المقامة هو من الفنون النثرية والإيحائية أساسها الكلام المسجوع الذي يراد به التعبير عن الشعور.

وللإيقاع دور بارز لما له من التصورات الخيالية فله "وظيفة خاصة يؤديها في استنفاذ الطاقة الشعورية وهو جزء من دلالة التعبير كالدلالة المعنوية واللغوية. "[1]

فنجد محمد البشير الإبراهيمي قد برع في توظيف الموسيقى في كتاباته وطغت على مقامته ومقالاته وخطبه مما أثرت على المتلقي وجذبت إنتباهه ، فالبشير الإبراهيمي معروف بفصاحته وبلاغته وروعته في البيان ، وتنوعت السمات الإيقاعية من جناس وطباق وسجع في مقامته أطلق العنان لنفسه بالتعبير عن ما ولجته نفسه من أحاسيس جياشة إثر وفاة ابن باديس بتنوعه وزخرفته للإيقاعات الموسيقية في مقاما ذات البعد التأثيري على المتلقي لسهولته وخفته على النفس ورقته ولطاقته، "كلما كان إيقاع النص جميلا على أذن القارئ وفي نفسه كان تأثيره أقوى إن الكاتب الجيد هو الذي ينظر إلى عمله من خلال عيون القراء."[2]

نبدأ الدراسة الإيقاعية وفق ما يلي :

أولا : السجع

للسجع دور هام في الإيقاع الموسيقي في المقامة مما يعطي انسجاما مع المتلقي وحثه على قراءة النصوص لأن السجع بمثابة جرس موسيقي جميل نابع من توافق بين الألفاظ ، ويعتبر من الألوان

[1]

[2] عبد الله صوفي، فن الكتابة أنواعها مهاراتها أصول تعليمها، دار الفكر، دمشق، دط، 2007، ص39.

البديعية، الأكثر استعمالا من طرف الكتاب في أدبهم والسجع هو "اتفاق فواصل في الحروف أو في الوزن ،وفيهما معا."[1]

كما لاحظنا توظيف الكثير من السجع في رثاء الإبراهيمي للشيخ ابن باديس هي أنه "تمسك بسجع حفيف ولطيف، ليأخذ طابعا موسيقيا متنوعا وتشكيلا في مقاطعه، فيعبر عن ما في نفسه من أوجاع وطنية وأشواق إنسانية قوامها الحب والوفاء والإخلاص والصدق "[2].

والسجع له أهمية كبيرة في المقامة، تضيف متعة فكرية وفنية لها ، ففي مقامة التعزية التي كتبها الإبراهيمي لصديقه ابن باديس ، حرص على تنسيق الألفاظ وإنسجام الحروف في مقامته لتعطي ايقاعا جميلا في نفس القارئ.

ولاحظنا تنوع السجعات في المقامة ما بين حروف الهاء، والنون، الألف، الراء، التاء الكاف وحرف الاء، السين، الضاد، الدال، الحاء، الطاء، وكذلك اللام، العين، القاف فقد وردت أغلب الحروف في السجع مما ترك جرسا ونغمة موسيقية في المقامة.

ومن السجع في قول الإبراهيمي :ابتدأ بحرف الهاء في السجع مما يتسم بالخفة والليونة "سلام يتنفس عنه الأقاح، بإزهارهوإيراقه ،ويتبسم عنه الصباح بنوره وإشراقه ، وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عبيره ويتبلج به من بدر التمام ، على الركب الخابط المنير "فالسجع في إزهاره ، وإيراقه، نوره إشراقه، عبيره، منيره.

كما وظف الإبراهيمي السجع الخفيف اللطيف في قوله :

"طهورها الروح والريحان، وأركانها النعيم الرضوان، وتحيات الزكيات تتنزل بها من الملأ الأعلى الملائكة والروح، ونفحات الذكيات تغدوا بها رسل الرحمة وتروح ، وخيرات مباركات يصدق برهان الحق قولها

[1] عبد القادر حسين، فن البديع ، ص127.

[2] عمر بن قينة، المقامة في الأدب العربي الجزائري خلال القرنين التاسع عشر و عشرون، ص326.

الشارح بفعلها المشروح" تعدد السجعات وتنوعها في هذه العبارة بين حرف النون وفي الريحان والرضوان، وحرف الحاء في الروح وتروح ،تعدد معاني كل كلمة وبالتالي تعدد لغة الموسيقى.

وفي موضع آخر :"وسحائب من الرحمات تنهل سواكبها ،وكتائب من المبشرات تزجي مواكبها وسوافح من العبرات تنحل عزاليها و لوافح من الزفرات تتسابق أواخرها وأواليها. "

فنجد الإبراهيمي مستعملا السجع بكثرة إلا أن هذا السجع بحاجة إلى اعتدال ليزيد الكلام رونقا "الأصل في السجع إنما الإعتدال في مقاطع الكلام، الإعتدال مطلوب في جميع الأشياء، النفس تميل إليه بالطبع. "[1]

ومن ذلك في قوله : وستأثر بالفضائل الغرز والمساعي الغز ،والخلال الزهر " نلاحظ الموسيقي الذي تحدثه الفواصل القصيرة والمتساوية والمتشابهة في ابراز الإبراهيمي لفضائل ابن باديس.

ونجد الإبراهيمي في قوله من غير تكلف ولا صنعة بألفاظ عميقة وذلك: "وسلام على مدارس كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ضلال رعايته ، وتعهد عليها ممدودة ، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة ".فالسجع هنا، مشهودة، ممدودة، معمورة.

ومن ذلك أيضا :"ومدارس ،وما مدارس مهدها للعلم والإصلاح مغارس ،ونصيبها في نحور المبطلين ومتارس، وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومحارس. "

فحرف السين في مد ارس ومغارس ومتارس ومحارس من الخروف الرنانة الطنانة ، تضيف حلاوة في تناغم الموسيقي وهو حرف مهموس في الكلمات المسجوعة.

[1] ابن الأثير، تح، أحمد حوفي بدوي طبانة، المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، ج2، دار النهضة، مصر، د ط، د ت ص212.

وود كذلك في هذه الفقرة :"فقلد منه الإسلام منه صارما غضبا ،وفجر منه للمسلمين منه معينا عذبا، فلئن ضيافته الأيام في حدود عمره فقد أبقت له من الصيت العريض، والذكر المستفيض" هنا تنوعت السجعات بين حرفي الألف والضاء بحيث اعطت لونا موسيقيا متنوعا.

ويواصل الإبراهيمي قوله :"ولئن سلبته الحلية ، فقد ألبسته من مآثر حلل التاريخ الضافية " اتفقا في الحرف خ ير لاا بين "الضافية /الفانية " لهما نفس الوزن أدت الى تناغم الجرس.

ويواصل ذكره للأسجاع :"سلام على أعوان كانوا زينة ناديه ،وبشاشة واديه ،وكانوا عمار سامره، والطيب المتضوع من مجامره، والجوارح الماضية في تنفيذ أوامره " في ثناء الإبراهيمي لإبن باديس وفي اطلاق عنان لأحاسيسه المرهفة أحدث وقعا على أذن السامع "وفي احداث احساس مستحب بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات وإستعمال الأسجاع وسواها من وسائل الموسيقية الصائتة."[1]

فالسجع في واديه، سامره/ناديه/مجامره/أوامره، وهنا دلالة على اهتزاز نفسه اثر موقف.

وبالإضافة إلى ذلك قال :"أبت لهم عزة الإسلام ، أن يضرعوا أو يذلوا ،وأبت لهم هداية القران أن يزيغوا عن منهاجه أو يضلوا، أو أهلك العالم زلل العلماء، فتقاسموا بشرف العلم أن لا يزلوا" فوقع السجع في يضرعوا ، ويذلوا، يزيغوا، يزلوا فهنا سجع متوازي ولهم نفس الوزن .

وورد أيضا في قوله :"فإدفعا بالمهرية القود في نهر الوديقة ،ولا تخشيا لذع الهواجر ، وإن كنتما في شهر ناجر "هنا تنوع السجع واختيار الألفاظ المتناغمة وجودة التركيب.

وفي قوله أيضا :"سيرا على إسم الله في نهار ضاح وفضاء منساح ،ضاحك الأسرة وضاح وتخللا الأحياء فستجدان لاسم من تنتعجانه ذكرا في الأفواه وثناء شائعا على شفاه " فيها سجعة من

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، دار العلم ، بيروت لبنان ، ط 1، 1979ص 44.

حرف الحاء في ضاح ،وضاح و منساح الذي يدل على الوجدان والحنين والألم لفقدان العزيز ، مما أعطى جمالية في الإيقاع وتساوي المعاني في" الأفواه /الشفاه."

ومن ذلك أيضا :" فاح ذوا بذكره ينبعث النشاط ،وينشر الإغتياط" سجع في حرف الطاء يملأ الفؤاد روعة وحسنا.

ويواصل الإبراهيمي في ثنائه لرفيقه :"وخلع عليه الصانع البديع من حلي الترصيع ، وحلل يـفـال تـ فو والتوشيع ".هنا كلمات لها نفس "الترصيع / يـ فـال تـ فو /التوشيع" أعطت نغما خاصا في القامة.

ومن ذلك أيضا قوله :"فثم المنتجع والمراد ،ومن ثم المطلب والمراد، ومن ثم محله الصدق، التي لا يصدر عنها الرواد، وثم مناخ المطايا على حلال الحق وجيرة الصدق ، وعشراء الخلود، الذي محا الموت ما بينهم من حدود ".فحرف الدال في "المراد/الخلود/الحدود" دلالة للإيضاح، أما السجعة في كلمة الحق والصدق بحرف "القاف "إنما دلت على الصدق الجوارح والألحان التي تهتز لها القلوب.

وعمد الكاتب في هذه الجملة :"ورجع الجدال إلى الإعتدال " الذي يوحي بالتماسك بين "الجدال، والإعتدال " في الموسيقى يجعل المتلقي يتذوق الرنات.

كما نجد هنا في قوله :"قد فصل بينا وبينك خط التواء، لا خط استواء، فالقريب منك والبعيد على سواء "جاء السجع في الهمزة ..في التواء / واستواء / و سواء نلاحظ هنا تشابه في الألفاظ مع إختلاف المعاني، وتناسب الكلمات ترابطها تعد وسيلة من وسائل التي يبدع بها الكاتب.

وفي موضع آخر :"أي بحر ستضم حفتاك ؟وأي معدن ستزن كفتاك ، وأي ضرغامة غاب ستحبل كفتاك؟ أي شيخ كشيخك أي فتى كفتاك "هناك سجع بحرف الكاف في حافتاك /كفتاك /شيخك، فحرف الكاف يوحي إلى الشدة وهو حرف مهموس أدى إلى تلاحم الإيقاع .

ويستمر في توظيفه للسجع في قوله :"لا نستقي لك وظفاء سكوب تهمي على تربتك الزكية وتصوب "أبدع الكاتب هنا في إختيار الألفاظ المتلائمة للتعبير في سياقها والتي تعبر عن جوارح النفس من حزن وتتفاوت وهي "سكوب /تصوب "أي أن إختيار الألفاظ وتنسيقيها لا يتم بإرادة كاملة وإنما تفتقر الألفاظ والعبارات وتتناسق وتتناغم. "[1]

ومن ذلك نجد أيضا :"ترضعه المراضع من سحب الهوامع ، تلك أودي هامت فيه أخيلة الشعراء، فنبذتهم بالعراء وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهاجه وزاغوا عن طينته ومزاجه "نوع السجع في هذه الفقرة بين الحروف العين والهاء في المراضع/ الهوامع وكذلك في منهاجه /مزاجه بحرف الهاء فتتعدد لغة الموسيقى وبالتالي إختلاف موسيقى الأفكار.

فالسجع في المقامة غزير ومن قوله :"يا ساكن الضريح نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح ،وخافق بين ضلوع جريح، يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكراك فيحملان إليه على أجنحة الخيال من مسراك "تتعدد السجعات بين الطليح /القريح /جريح كلها بحرف الحاء توحي إلى انفعال عاطفي والحنين، أما السجع الموجود في كلمات خيالك /ذكراك /مسراك أعطى شدة في الإيقاع وجمالية.

ويواصل في سجعه :" ويؤدي عنهما شؤونه المنسربة ، وشجونه الملتهبة "فهنا نجد في هذه الكلمات منسربة/ملتهبة تشابه الوزن والإيقاع.

ويتابع في سؤاله في قوله :"ما عان كمستريح ،يا ساكن الضريح، أكني ؟ أم أنت كعهدي بك تؤثر التصريح "فالسؤال أدى الى دلالة عميقة مع تناسقها مع الإيقاع.

وفي موضع آخر :"بعدك الأعناق واشرأبت ، وماجت الجموع واتلأبت ، تبحث عن إمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ، ويسد الثلمة "يوجد توافق الحروف بين واشرأبت /واتلأبت /الأمة / الثلمة وهذا التوافق قد أعطى نغما مميزا.

[1] سيد القطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجهص 44.

وفي قوله نجد :"اللسان القوال ، والعزم الصوال، والفكر الجوال "هنا سجع متوازي ومتوازن بين ألفاظ القوال / الصوال/الجوال.

ومن ذلك أيضا :"كانت تطنطن به الأنباء وتتجاوب به الأصداء "و"اتفق الودود والكنود "فالسجع واضح في هذه العبارات الأنباء / الأصداء كما يوجد في الودود /الكنود وتميز يتوافق الحروف وألفاظ لطيفة وخفيفة على السامع ساعدت على توضيح الدلات الإيحائية.

ومن ذلك أيضا :"وعزاء فيك لأمة أردت رشادها ، وأصلحت فسادها ونفقت كسادها ،وقومت مناداها، وملكت بإستحقاق قيادها وأحسنت تهيئتها للخير وإعدادها ، وحملتها على منهج الواضح واللائح "وقع سجع قائم على الطباق مما أضاف فنية وروعة في المعنى ، ويظهر ذلك في فسادها، كسادها، رشادها، مناداها، إعدادها يوجد فيهم سجع بحرف الألف ، ووجود سجع في " الواضح، واللائح".

ويتابع في عزائه :"وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم ،وتضع ثقتك الغالية فيهم ، من إخوانك العلماء العاملين وسلام عليك في الحكماء الربانيين "اتهم الكاتب بحرف النون في سجعه " الأولين والأخرين، العاملين والربانين "يبين لنا نبرات صوت الألفاظ الدامعة وعلى عمق الألم وأنينه متوجعا على فقد رفيقه.

ومن خلال ما سبق أن محمد البشير الإبراهيمي تفنن في السجع بدقة وخفة ولطافة واستشهد لنا به كثيرا والتزم به في مقامته البكائية ذات الطابع الأليم وصدق في العاطفة بحيث اتسمت بسبك الألفاظ وحب المعاني وخفتها التي زعزعت قلوب سامعيها ، "والألفاظ التي يختارها الأديب، والنسق الذي يرتبها فيه عنصران أصيلان في تعبيره وفي قيمته عمله الأدبي ، لأنها وحدهما اللذان ينقلان إلينا كامل شعوره. "[1]

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص52.

ثانيا :الجناس

الجناس من المحسنات البديعية التي اتسمت بها مقامة الإبراهيمي وأضفت عليها إيقاعا في تجانس كلمتين في النص.

فالجناس هو "تشابه كلمتين في اللفظ وإختلافها في المعنى [1]"وفائدة الجناس هي "الميل إلى الإصغاء إليه فإنه مناسبة من الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ولأن اللفظ إذا حمل على المعنى ثم جاء بالمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه وهو ألطف مجاري الكلام. "[2]

ففي مقامة الإبراهيمي الكثير من الجناس في كلماته التي شكلت إيقاعا وموسيقى منسجمة مع الكلمات لما بينهما من تشابه في الوزن والصوت ومن أقسام الجناس:

أ–الجناس التام : وهو "ما اتفق فيه لفظان متجانسان في أربعة أشياء نوع الخروف وعددها ،هيئتها وترتيبها مع إختلاف في المعنى. "[3]

ولقد وظف الإبراهيمي الجناس التام في مقامته ومن ذلك نجد قوله :" أي معدن ستزن كفتاك وأي ضرغامة غاب ستحبل كفتاك " فهما كان س الجـ نا في كلمة "كفتاك" فمعنى كفتاك في الأولى كفة الميزان ، أما الثانية فتعني الحبال التي يستعملها الصائد للصيد والمقصود هنا حبالك تصطاد درغامة ؟ بحيث اتفقا في نوع الحروف وعددها وترتيبها مع إختلاف في المعني.

[1] عبد القادر حسين، فن البديع ،ص 109.

[2] المرجع نفسه، 109.

[3] أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة ،ص 326.

ومن ذالك أيضا:" فويح الحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا "فجانس بين كلمتين أودعوا اودعوا فقصد بالأولى التوبيخ لما تركوه من ألم ووجع ، والثانية بمعني الأثر الذي تركوه فيه ، فهنا اتفاق لفظتين مع اختلاف المعنى.

ومن ذالك أيضا :"وويح المشيعين ماذا شيعوا إليك يوم شيعوا " فكان تجنيس في كلمتين شيعوا /شيعوا فقصد بالأولى جنازة ابن باديس والثانية قصد بها زمن تشييع الجنازة.

وقوله كذالك:"ومن ذا ودعوا منك إذ ودعوا ؟" فهنا تجانس بين كلمتين ودعوا /ودعوا فهذا جناس تام الأولى بمعنى تركوا آثارك والثانية قصد الوداع أي تركوك.

وقول الابراهيمي أيضا : "وأتيا العدوة الدنيا فثم المنتجع والمراد، وثم المطلب والمراد "فحدث جناس بين الكلمتين المراد /المراد فقصد بالأولى العنق، والثانية الهدف أو الغاية. "

كما وظف العديد من الجناس في قوله :" وأصبح من بينيها مفرد العلم كما كان صاحبه في رجال العلم المفرد " فهنا تجانس بين لفظتين العلم / العلم فمعنى الأولى المعرفة ، والثانية هي العلامة الموسومة في الشخص أو ذائع الصيت هنا اتفقت اللفظتين واختلف في المعنى.

ومن هنا نخلص إلى أن الإبراهيمي لجأ إلى الجناس الناقص في رثائه مما أعطى انسجاما صوتيا وتوافق في الرنة الموسيقية بين الألفاظ لتشابه الكلمات وتخالفها في المعنى واختلافها، وهذا يجعل المتلقي يبحث عن معنى الكلمة الأولي والثانية لإكتشاف الدلالات.

ب – الجناس غير تام :

هو" ما اختلف فيه الفظتان في واحد من الأمور الأربعة التي يجب توفرها في الجناس التام :أنواع الحروف، أعدادها وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها. "[1]

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية في علم البديع، دار النهضة العربية، لبنان،دط، دت، ص205.

استشهاد الإبراهيمي بالجناس في مقامته ساعده على رسم موسيقى وتنوعها ومن ذلك نجدها في قوله :" سلام يتنفس عنه الأقاح، بإزهاره وإبراقه ويتبسم عنه الصباح بنوره وإشرقه، وثناء يتوهج به عبير الشجر عبيره "يظهر الجناس بين اللفظتين :إيراقه /إشراقه ، وكذلك بين عنبره / عبيره اضيف حرف النون في عنبر، والهاء والياء في عبيره، عنبر بمعني الزهر أو الطيب، وعبيره بمعنى الراحة، والجناس بين ايراقه بمعنى ظهور ورق الشجر واشراقه بمعنى النور فاختلفوا في أنواع الحروف وبالتالي هو جناس غير تام بحيث اضفت تأثيرا واستقرار في النفس.

وكذلك جانس في عبارة أخرى وزينها بهذا الفن :" يصدق برهان الحق فهو الشارح بفعلها المشروح " هنا جناس غير تام بين كلمتي الشارح /والمشروح إختلف في الحروف وفي عددها وهذا ما اضفى موسيقى ورنة للعبارة.

وفي قوله أيضا :"وغيوث من الصوادق الوعود ، لاصوادق الرعود، لاتخلف ولاتمين وسحائب من الرحمات تنهل سواكبها، وكتائب من المبشرات تجزي مواكبها " جانس بين كلمتي الوعود /الرعود إختلف في نوع الحروف فالوعود هي الوعد ، والرعود هي الرعد تساوي الكلمتين في الوزن والقافية عملت على زخرفة اللفظتين بالإضافة للإيقاع.

وكذلك جناس غير تام في " سحائب وكتائب، سواكبها ومواكبها " فسحائب بمعنى السحب والكتائب بمعنى الفرق العظيمة أما سواكبها قصد بها سكوب المياه أو المطر ، والمواكب بمعنى القافلة للسير.

ومن ذلك قوله :" وسوافح من العبرات تنحل عزاليها ، ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها " فتجانس بين لفظتين سوافح/لوافح، اختلفا في حرف السين واللام، فمعنى السوافح نزول أو سيل الدموع، ومعنى اللوائح الشدة أي شدة الزفير.

ومن ذلك أيضا :"واستأثر بالفضائل الغزر والمساعي الغر "اختلفت لفظتي الغزر/الغر في عدد الحروف ويسمى جناسا ناقصا وذلك بزيادة حرف الزاء في الغزر فمعنى العزر الكثير، والغر الفعال الكريمة.

ومن ذالك نجد أيضا في قوله: "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة ، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة فالجناس بين مشاهد /مشهودة ، وهو مشتق وكذلك بين لفظتين معاهد /تعهده فيهم اشتقاق لأن لهم أصل واحدة في اللغة فقصد بمعاهد هو المعهد أو المدرسة وتعهده بمعن العهد أو الوعد.

وقوله أيضا :"كانت بفيضه زاخرة ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كانت شملها بوجوده مجموعا، وكان صوته الجهير ، كصوت الحق الشهير "فجانس بين لفظتي :الزاخر /الزاهر هنا تجنيس خط واختلاف في نوع الحرف ، وكذلك بالنسبة لكلمتي الجهير /الشهير وهذا أضفى نغمة موسيقية لحلاوة الألفاظ ورقتها.

ومن ذلك أيضا :"ومعاهد كان حادي زمرها إلى العلم ، وهادي نزاعها إلى الإحسان والسلم ،فأصبحت بعده مقفرة ، ومدارس ما مدارس مهمدها للعلم والإصلاح مغارس "فهنا تجانس بين الألفاظ :حادي /هادي /العلم/السلم ، نلاحظ تماثل الكلمات وإختلاف الحروف فمعنى حادي شدة الإخلاص ،وهادي بمعنى الهداية ،وكذلك لفظتين مدارس /ومغارس إختلاف في الحرفين الدال بالغين تنوع في الحروف وبالتالي تنوع في الموسيقى والطرب في أذن السامع.

وفي قول الإبراهيمي أيضا :"ولئن سلبته الحلية الفانية فقد ألبسته من مآثر حلل التار يخ الضافية " نجد إختلاف في لفظتين سلبته /ألبسته في ترتيب الخروف وهذا ما يسمى جناس القلب أي العكس، كذلك جناس بين لفظتين الحلية /حلل فمعن الحلية بمعنى صورته وصفاته ،وحلل بمعني الشيء الثمين وهنا جناس مشتق.

ونفس الشيء جناس مشتق في قوله: "فقد أسعدته به سعادة غير محدودة "بين الكلمتين أسعدته /سعادة.

ومن ذلك التجانس بين ربى /لبى اختلفا في الحروف في قوله :" وسلام على شيخه الذي غدى وربى وأجاب داعيا العلم فيه ولبى " فمعنى ربي التربية ولبى قصدها به الاستجابة للدعوة.

ونجد كذلك في قوله :" وسلام على إخوان كانوا زينة ناديه وبشاشة وادية " تجانس بين لفظتين ناديه /واديه، فكلمة ناديه بمعنى القوم والعشيرة ومعنى واديه من المودة.

وكذلك في قوله :"وسلام على أعوان كانوا معه زينة بناة الصرح، وحماة السرح، كانوا سيوف الحق التي بها يصول ، وألسنة الصدق التي بها يقول "جناس بين كملتين السرح /صرح فقصد بالصرح القصر العالي وقصد بالسرح المال السائم أي المطلوب .وكذلك بين يصول /يقول لاختلاف حرف الصاد بالقاف.

وفي موضع أخر: "أبت لهم عزة الإسلام أن يضرعوا أو يذلوا وأبت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه أو يضلوا " هنا جناس بين يذلوا /يضلوا معنى يدل الإهانة والذل ، ويضلوا بمعنى الضالة أي يضلوا عن الحق وجاء بطبيعة فعلين مضارعين.

كذلك هنا جناس اشتقاق في العبارة التالية: "وأهلك العلم الزلل فتقاسموا بشرف العلم أن لا يزلوا " فالجناس هنا بين لفظتين زلل /يزلوا، زلل بمعنى الخطأ وقصد بكلمة يزولوا الزوال.

وفي قوله أيضا :" تشابهت السبل على الناس فـاتخدوا سبيل الله سبيلا "فهنا جناس غير تام بين لفظتين سبيل /سبيلا وتماثل الكلمتين لكن بإضافة حرف الألف في سبيلا.

وفي موضع أخر نجد قوله :" لصاحبين من تصوير الخيال أو من تكيف الخبال "بحيث جانس بين كملتين الخيال /الخبال قصد بالخيال ما يتخيل أو يتصور والخبال هو وساد العقل.

ويواصل الإبراهيمي في قوله :"تمثلهما الخواطر تمثيل صفاء وتقيميهما في ذهني تمثال وفاء "تجنيس بين الكلمتين صفاء /ووفاء جناس غير تام ،أما في ذكره تنجحا لصاحبكما طية لا تبلغ إلا بشدة الرحل وتقريب المطية "هنا جناس ناقص بزيادة حرف الميم في المطية /الطية وقصد بطية الحاجة والطية هي الدواب كالناقة وهي وسيلة للنقل.

ومن ذلك أيضا :" كما بدئت الأطوار بدولة الرحال والأكوار "التجنيس بين الأكوار /الأطوار لإختلاف نوع حرف الكاف بالطاء فمعنى الأطوال هي الأحوال ، الأكوار بمعنى الإختفاء والإطمحال.

ونفس الشيء في قوله :"ولا للفلوات يضم صداها ، ويقصر الطرف عن مداه "بين لفظتين جناس تمام وغير تام صداها /و مداها .

وفي قوله أيضا :"ولا يهولنكما بعد الشقة وخيال المشقة " جناس ناقص بزيادة حرف الميم في المشقة حيث أضفى إيقاع جديد في الجملة ، فمعنى الشقة وهي العناء والمشقة هي المسافة .

ومن ذلك أيضا :" يترجرج رقراقه ويخدع الظامئ المحرور مراقه "هنا وقع الجناس بين كلمتين فراقه /مراقه بزيادة أكثر من حرف في رقراقه فقصد اللمعان ومراقه السيلان أو سقوط الشيء.

وقال كذلك في موضع أخر :"ذكرا ذائعا في الأفواه وثناء شائعا في الشفاه "وقع الجناس بين ذائعا /شائعا لإختلاف الحروف بين الذال والشين.

وأيضا :" فإذا مسكما الملال أو غشي مطيكما الكلال ، فاحذوا بذكره ينبعث النشاط وتعيننا بها عن حمل زاد وملء المزاد "ففي هذه العبارة تجنيس بين كلمتين الملال /الكلال فمعنى الملال الملل والفتور، والكلال قصد بها التعب ، الزاد /الزاد نفس الأمر فيها جناس ناقص بزيادة حرف الميم في كملمة مزاد فهذه الجناسات وتنوعها زادت العبارة زخرفة ونغمة إيقاعية جميلة.

ومن ذلك أيضا :"حتى تدفعا في المسي خامس ، له يوم ترحل خامس هنا جناس غير تام بين كلمتي خامس /خامس لأن لفظة مكررة فقط وتكرار لفظة دلالة على وجود تناسب وتلائم في الألفاظ.

وفي البيت الشعري الذي ضمنه الإبراهيمي :" وما للمقابر لا تجيب الداعي ...أو ما استقلت بالسميع الواعي "جناس بين كلمتين الداعي /الواعي فهنا اختلاف في الحروف فقط بين الدال بدل الواو.

وفي قوله أيضا :" وخصا القبر الذي تضمن الواعي السميع، والواحد الذي بذا الجميع "فقد حصل إختلاف في الحروف بين السميع /الجميع مما أضفى وقعا مميزا في العبارة.

ومن ذلك أيضا :"بين القائلين بإختيار والقائلين بالجبر "وقع جناس غير تام بين اللفظتين القائلين /القائلين فهي مكررة فهذا يؤدي إلى دلالة التأكيد.

وقوله كذلك :" ما عهدنا قبلك رمسا، ووارى شمسا " رمسا بين شمسا لتنوع الحروف في الراء بدل الشين فقصد برمسا الغطاء بالتراب للميت .

ومن ذلك :"تلتهم كوكبا دائرا، وتحبس كوكبا سائرا "تجانس بين كلمتين دائرا /سائرا تجانس بين كلمتين دائرا /سائرا .

وفي قوله : "يا قبر قد فصل بينا وبينك خط إلتواء لاخط الإستواء " وقع الجناس بين اللفظتين إلتواء / والإستواء وهو جناس غير تام، فإلتواء هي الإنعراج والإستواء بمعنى الإستقامة بإضافة حرفين في الإستواء.

وفي موضوع أخر قوله عند سؤاله للقبر :"يا قبر أتدرى من حويت ؟وعلى أي جواهر احتويت "فالسؤال يعمل على إحداث رنة موسيقية للناس وجاء الجناس مشتق بين حويت /احتويت فقصد بالأولى أي فلان ضميت القبر، أما الثانية شملت.

ويواصل في جوابه على سؤال :"أنك حويت علة أمة في رمة "فقد حصل تجنيس بين لفظتين أمة / رمة بحيث اختلف حرف الألف بالراء ، فالأمة هي الشعب والرمة بمعنى مجملها فالإيقاع هنا ساهم في انتباه المستمع وجذبه.

ومن قوله كذلك :" أيدري من خطك ،وقارب شطك " فكلمة خطك / شطك وقع بينهما جناس غير لإختلاف نوع الحروف فقصد بشطك البحر ، وقصد بخط البحر أي ؟أنت خط يحتوي الجميع ما يخطه الإنسان ويحفره في الأرض فقصر العبارة توسمها جمالية في الإيقاع وتؤثر في المتلقي.

ومن ذلك أيضا :"إنهم لا يدرون أنهم أودعوا أبناء أخيال في حفرة ، وودعوا عامر أعم ال بقفرة "فهنا حصل تجنيس بين أودعوا /وودعوا لإختلاف في اللفظتين وهذا ما يسمي بتماثل الكلمتين لكن المعنى مختلف وهو جناس غير تام وقصد بأودعوا تركوه ،وودعوا بمعنى الوداع.

وفي قوله كذلك :" وشيعوا حدن أسفار وطليعة إستنفار "جناس غير تام وهو مشتق بين لفظتين أسفار /إستنفار فمعنى أسفار الراحل ومعنى إستنفار هي الإستعداد ، فالإشتقاق يعمل على تعدد الألفاظ أي لفظة واختلافها وبالتالي جرس موسيقي.

ومن ذلك أيضا :"المثقلات الدوالح، و الغوادي والروائح "فكان الجناس بين الدوالح /الروائح ،فقصد لأولى مشيء الرجل بحمله وقد أثقله ،وقصد بالثانية الذهاب.

ومن ذلك أيضا تلك أودية هامت فيها أخيلة الشعراء ، فنبذتهم بالعراء "هنا جناس ناقص لنقص في عدد الأحرف حرف الشين في الشعراء فيه زيادة على كلمة العراء.

ومن ذلك نجد :"بل تلك بقية من بقايا الجهل ، ما أنت ولا صاحبك لها بأهل "وظف جناس بين الجهل /الأهل لإختلاف حرف الجيم بالألف.

ونفس الشيء في قوله :" إن من تركت وراك ، فهل حمدت كراك "فقصد بوراك خلفك وكراك من الكرى بمعنى القبر.

ومن قوله أيضا :"إن بعدك أتعب بعدك " جانس بين كلمتين بعدك / بعدك معنى بعد الفراق في الأقل ، والثانية هي خلفك ووراءك فهنا نغمة موسيقية حزينة وإختلافها في الحركة عبرت عما في نفسه.

وفي موضع اخر يقول الإبراهيمي :"فما عادت إلا بالخيبة وصفر الغيبة "فالجانس في الخيبة / غيبة فقصد بالأول خيبة الأمل واليأس والثانية الصدور والقلوب بمعنى غياب الوادع.

ونفس الأمر في قوله :" مت فما مات اللسان القوال ، العزم الصوال ، وكان يصطرع حول النقد ويتطاير عليه الشرر."

" لم يمت الإسم الذي كان تقعقع به البرد، وتتجلى فيه القوافي الشرد وكانت تنعنوا له الرقاب وتنخفض لمجلاه العقاب " فهنا قام الإبراهيمي بتوظيف الجناس في عبارته الممتلئة بالأحاسيس والعاطفة اتجاه صديقه ، أحدثت جرسا موسيقيا جميلا فجانس بين كلمات القوال /الصوال ، فقصد بالقوال القول وقصد بالصوال العزيمة المبنية على الفكر الصحيح كما جانس بين لفظتي النقد / الحق البرد / الشرد، الرقاب / العقاب، فكل هذه الألفاظ فيها تجانس لإختلاف نوع الخرف أدت إلى تعدد الألفاظ ومعانيها ودلالتها.

وكذلك في قوله :" مات الإسم وبقى الرسم "و "أصلحت فسادها ،ونفقت كسادها "فهنا تجانس بين الألفاظ : الاسم /الرسم ،فسادها /كسادها.

وفي قوله أيضا :"كنت لها نعم الرحم، وكنت بها البر الرحيم "فالجناس وقع بين كلمتي الراحم والرحيم مشتق من كلمة الرحمة ولها أصل واحد في اللغة ، فمعنى الراحم من الرحمة ومعني الرحيم العطف و الرقة والرأفة.

وفي قوله كذلك :" يلقون في سبيله القدي كحلا ، والأذى من العسل الأحلى "فحصل تجنيس بين كلمتي القذى /الأذى لإختلافها في الحروف ،حرف القاف في الأذى والألف في الأذى فمعنى القذى الظلم، وقصد بالأذى الضرر.

ومن هنا يمكننا القول أن الجناس من المحسنات اللفظية التي أعطت انسجاما صوتيا في المقامة بحيث وظفه الإبراهيمي بكثرة ليثير ذهن القارئ ويطرب سمعه ، ويبين لنا مدى قوة مشاعره وصدقها وما يحمله من وفاء ومودة لصديقه ،فأضفى الجناس تناسقا صوتيا مع الكلمات ، وتنوعا موسيقيا .سالجنافيه مقطع ستين ليحوظف فقد لاجما

ثالثا :الطباق

يعتبر الجناس من أهم المحسنات البديعية التي لجأ اليها الإبراهيمي في مقامته الحزينة والتي عبرت عن العواطف العميقة لصديقه .

والطباق هو "المطابقة والتضاد والتكافؤ [1] " هو الجمع معنين متقابلين ومتضادين في الجملة وينقسم إلى قسمين :طباق الإيجاب ،وطباق السلب .

أ–طباق الإيجاب :"ما اتفق فيه ضدان إيجابا وسلبا"[2].

وهذا ما يظهر عند الإبراهيمي في توظيفه لألفاظ متضادة ومن ذلك قوله :" على الركب الخابط في الظلام منيره " فهنا طابق الكاتب بين الظلام ومنيره أي الإنارة.

وقوله أيضا :"تغدوا بها رسل الرحمة وتروح " فهنا طابق بين لفظتي تغدوا تجي /تروح تعني تذهب.

[1] عبد القادر حسين ، فن البديع،ص45.

[2] يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل للبلاغة العربية، ص244.

ومن ذلك أيضا :"يصدق البرهان الحق قولها الشارح بفعلها المشروح" تطابق بين لفظتين قولها /فعلها وهو متضادتين قام بتوظيفيهما ساهمت في التناغم .

ومن ذلك أيضا :"تسابق أواخرها أواليها "طابق بين الكلمتين أواخرها /أواليها هنا تناغم موسيقي رقيق .

وطابق بين اللفظتين المبطلين :أي الباطل والحق في قوله :

ونصبها في نحور المبطلين حصونا ومتارس وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومحارس ".

وكذلك في قوله :"فقد ختمت كما بدئت الأطوار "طابق بين كلمة ختمت /بدئت فقد جمع بينهما في جملة واحدة .

وكذلك في قوله :"الواحد الذي بذا الجميع "جمع التضاد بين الواحد والجميع في الجملة الواحدة .

ومن ذلك أيضا قوله :تعاصى كسر القلوب الحزينة ،وعز دفينك ،أن يقابل بالجبر "تضاد بين لفظتي : الكسر /الجبر فيه تضاد فيه نوع من الموسيقية الحزينة المؤثرة.

ومن ذلك أيضا في قوله :"فالقريب منك والبعيد على سواء "جمع بين لفظتين القريبة /البعيدة فيهما تخاف أضاف جمالية في البديع.

وفي موضع أخر الطباق في قوله :"وأي شيخ كشيخك وأي فتى كفتاك "تتضاد بين كلمتين الشيخ /الفتى فإيقاع التخالف يحدث نغمة موسيقية وجمالية للنص.

ومن ذلك أيضا :"طليعة استنفار ، الى أخر سفرة "تضادد بين لفظتين طليعة بمعنى الأوائل أو الأولى وكلمة أخر في ذكره رحلة ابن باديس الأخيرة.

ومن ذلك :" الغوادي والروائح" طابق بين اللفظتين "الغوادي" بمعنى تجيء أي جاء "الروائح" بمعنى الذهاب.

ومن ذلك :" مات الإسم ،بقي الرسم "طابق بين مات/بقي فهو طباق مجازي يقصد بكلمة بقى الوجود والحياة .

وورد طباق أخر في ذكره :"أصلحت فسادها ،ونفقت كسادها "قد جمع بين الكلمات في التضاد في جملة واحدة بين الصلح /فساد ، وكذلك النفاق بمعنى النفقة والكساد ،فالتناسق في الكلمات عزز العبارة وأدي إلى تماسكها.

ومن ذلك في قوله :"لقد حييت فما كان لفضلك جاحدة ،ومت فما خيبت آمالك إلا واحدة "التضاد بين كلمتين حييت /مت أي الحياة والموت وهذا نوع من التضاد دلالة على التوازن الضروري لإستمرار الكون والصراع القائم بين الحياة والموت.

ومن ذلك أيضا :" وسلام عليك في الأولين ،وسلام عليك في الأخرين "طابق بين الأولين والأخرين تتضاد فيه رنة مؤثرة وتحسر للوادع الأخير لإبن باديس .

ب–طباق السلب :"هو ما اختلف فيه ضدان إيجابا وسلبا كأن يؤتي بفعلين. "[1]

استعان الإبراهيمي في مقامته طباق السلب لتلوين م تهم قا بهذا الفن فنجد في قوله :"وغيوث من الصوادق الوعود ،لا صوادق الرعود "طباق سلب بين صوادق /لا صوادق طباق بين اسمين.

[1] يوسف مسلم أبوا العدوس ،مدخل إلى البلاغة العربية، ص244.

وكذلك في قوله :"وأهلك عالم زلل العلماء ،فتقاسموا بشرف العلم أن لا يزلوا "طباق سلب بين اسم وفعل ،زلل ولا يزالوا فمعني الزلل الخطأ، ولا يزلوا بمعنى لا يخطأ فالتضاد يحتوي على كلمة مثبتة والأخرى تساهم في تنوع الرنات وتميزها .

وفي قوله كذلك :"خط إلتواء، لاخط الإستواء "تضادد بين خط /لا خط ،وكذلك "لا تحذوا في الدعاء، حدوا الشريف الرضى "فهنا تخالف بين لا تح ذوا/تخذوا، فحذوا بمعنى القطع ، ولا نحذو تنفى القطع.

فالإبراهيمي في مقامته استعان بالطباق، لأن فيه موسيقى دلالية موحية واستعمال الموسيقي الحزين والمؤثر على فقدان صديقه ، نوع بين طباق السلب والإيجاب حيث لون مقامته بهذا الفن ، ليساهم في البناء الموسيقى الرنان من خلال المعنى لمتضادين ، كما تميزت معظم ألفاظه بالعفوية ، .قط با ف يها جم لة ع شر خم سة ا لي حو وظ ف و

المبحث الثالث: التناص وأنواعه في المقامة.

إن كتاب العصر الحديث ، اعتمدوا على التناص، وذلك من خلال توظيفهم آيات قرآنية، أو أبيات شعر أو أحاديث نبوية شريفة، أو حكمة ،أو أمثال عربية ، هذه الظاهرة لم تكن وليدة العصر انما كنت موجودة منذ القدم في الأدب العربي.

وقد سميت هذه الظاهرة بالتناص ، وتعرفه جوليا كريسيفا "بأنه نقل للتعبيرات سابقة أو متزامنة ، وهو أقطاع أو تحويل وهو عينية تركيبية تجمع لتنظيم نص معطى التعبير المتضمن فيها أو الذي يحيل إليه . "[1] وتضيف كريستيفا :"أن كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الإستشهادات، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى ، ثم توضح أن التناص يندرج في الإشكالية الإ تقاجية النصية التي تتبلور كعمل النص وهو النص المنتج "[2].

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن النص يتشكل من خلال عملية إنتاج من نصوص مختلفة .

وسنذكر مواطن التناص في ا لمقامة :

المطلب الأول: التناص القرآني والحديث

أولا : تناص القرآن الكريم

إن القرآن الكريم عرف بأنه دستور الحياة الخالد وأنه " من أهم الوسائل المنتجة للدلالات فهو المعين الذي لا ينضب بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث ، كيف ولا وهو كلام الله المعجز ، حيث

[1] أحمد الزغبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط2، 200، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

نرى الكثير من الشعراء يتكئون على مفرداته ومعانيه ويقتبسون من آياته ، ليعكسوا مدى ما يشعرون به اتجاه أحداث وقضايا العصر التي يعيشون فيها[1]".

يتجلى التناص مع الآيات الكريمة وفق ما يتناسب مع سياقه للنص ليكسبه دلالة جديدة ويتجلى هذا التناص كالآتي:

برز التناص في قوله :"وصلوات من الله طهورها الروح والريحان ،وأركانها النعيم والرضوان " وهذا تناص مع الآية الكريمة ، وذلك في قوله تعالى: " فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ "[2] نجد أن الله سبحانه وتعالى جعل جنات الفردوس جزاء لمن عمل صالحا بينما وظف الإبراهيمي هذا الاقتباس بعد أن اجرى عليه تغير وفق سياقه للنص ليثبت ويبين صفات وحسن خلق ابن باديس.

وحضر التناص في قوله كذلك :"تحيات الزكيات تتنزل بها من الملأ الأعلى على الملائكة والروح " مع قوله تعالى في الآية الكريمة:" تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر."[3]

ويتضح من هذا لم يستشهد بالآية الكريمة بالمعنى المراد، انما غير المعنى لنفسه مع الاحتفاظ بالآية الكريمة فما يقصده الإبراهيمي هو تعبير عن ما يشعر به من حزن وألم.

وقد تناص الإبراهيمي في قوله :"وسلام من أصحاب اليمين "مع قوله تعالى في الآية الكريمة " وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91)".[4] فهنا لم يكن

[1] حاتم عبد الحميد محمد مبحوح، التناص في ديوان لأجل عزة ،(رسالة ماجيستر في الأدب العربي)،الجامعة الإسلامية ، عزة، 2010، ص 64 .

[2] سورة الواقعة ، الآية 88-89.

[3] سورة القدر، الآية 30.

[4] سورة الواقعة ، الآية 91.

مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله ، وذكر ما يحصل له من سلامة فالإبراهيمي استدل بهذه الآية ليتناسب مع موقفه وليضفي قداسة على نصه ، وليؤكد على مقام وعظمة العلامة ابن باديس إذا جعله في أعلى المراتب مع الأصحاب اليمين الذين وعدوا بالسلامة ، والوعد القرب والغنيمة والفوز.

وظهر التناص على نصه باستخدامه تراكيب القران الكريم ، ومفرداته من ذلك :"وسحائب من الرحمات تنهل سواكبها، وكتائب من المبشرات تزجي مواكبها " متناصا مع الآية الكريمة :" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا"[1]. وهنا يتكئ الإبراهيمي على النص القرآني في اقتباس بعض تراكيبه وألفاظه، إلا أنه غير التراكيب ليتناسب مع ما يريده، وهذا هو التوظيف القرآني أضفي جمالية خاصة على نصه، فالكاتب هنا يصف مكانة المرثي .

وفي نفس المقام نجد الإبراهيمي أن التناص يتجلى في قوله :"فلم يكن له في الأجداث ند " يتناص مع الآية الكريمة في قوله تعالي :" فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [2]، ويتجلى في وصفه للعلامة ابن باديس الذي ليس له مثيل ونظير وهنا نلاحظ أنه يتماثل مع الآية القرآنية التي تحث على عدم الشرك بالله وجعل أنداد معه، فالكاتب وظفها للمعنى الذي يريده وهذا ما زاد النص قداسة.

ويواصل الإبراهيمي تناصه مع القرآن الكريم في سياق رثاء ابن باديس دائما فيقول :" سلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة " فهنا يتناص مع قوله تعالى في سورة البروج :" وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"[3]. أجرى الإبراهيمي تغيير لغوي المناسب للبنية التركيبية لما وظف هذه الآية في سياق دلالي جديد يخدم دلالتها الأصلية أيضا، فالآية الكريمة " شاهد ومشهود "تدل على أن الشاهد يوم عرفة

[1] سورة النور، الآية، 43.

[2] سورة البقرة، الآية 22.

[3] سورة البروج، الآية 03.

والمشهود يوم القيامة"، فالإبراهيمي هنا أيام الملتقيات والمؤتمرات التي شارك فيها وشهد الناس عليها وهي أيام لا تنسى وتستحق الذكر.

وحضر التناص من خلال اقتباس كلمات من القرآن الكريم تأتي عرضا دون أن تلقى بضلالها على النص، فالكلمات ترد مضيئة بعض المعاني التي يريد الكاتب التعبير عنها فنجد التناص في قوله " وكانت آفاقه بأنواره مسفرة "مع الآية الكريمة في سورة عبس :" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ" .[1] ففي الآية الكريمة وصف وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة مسرورة فرحة ، فالإبراهيمي غير تراكيب مع ما يتوافق مع نصه في رثاء ابن باديس ، الذي كان له دور كبير في مجال الإصلاح والتوجيه والنصح والإرشاد، وبين مكانته في مجلس العلم التي كانت بحضوره مشرقة مضيئ.

ورد التناص مع القرآن الكريم في قول الإبراهيمي: «وأبت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه " لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا "[2]وهنا يتجلى التناص الإقتباسي المحور دلاليا المقتبس من قوله تعالى :"وذلك بعد إجراء لغوي الملائم لسياق النص ، فالإبراهيمي يؤكد على مدى تفقه المرثي بآيات الله القرآنية التي كان يتحذ منها سبيلا في الحياة وهذا ما زاده ثبات على الدين وابصار للحق ولم يمل قلبه عن الحق أو يرتاب.

وفي مقام أخر نجد التناص واضح وجلي وذلك من خلال اقتباس الإبراهيمي قو الله تعالى :" مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا "[3]. كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ وذلك بعد أن أجرى عليها تحوير اللغوي والدلالي المناسب لسياق النص التركيبي والمعنوي فالإبراهيمي بقوله :" واقترف الناس شيعا فجعلوا محمد وحزبه قبيلا ". يحول المعنى المقصود في قوله تعالي وذلك أن الله ينبه عباده أن لا يكونوا

[1] سورة عبس، الآية 38.

[2] سورة المائدة، الآية 48.

[3] سورة الروم، الآية،32.

مشركين الذين بدلوا دينهم وخالفوه ،وهم فرحون مسرورن ، يحسبون أن صواب معهم دون غيرهم بينما نجد الإبراهيمي يؤول المعنى في الآية تأويلا جديد ثم ينقل دلالة المعنى الجديد لموقفه الخاص فيأكد على إيمان المرثي وأصحابه دين الحق ، وإتبعاعهم صراط المستقيم عن اتباع غيره من السبل سائرين على نهج المصطفى صلي الله عليه وسلام.

وهنا يتجلى التناص المحور دلاليا في قول الإبراهيمي :"ولا يهويلنكما بعد الشقة "إلا أنه غير في التراكيب اللغوية مع مايتلائم مع سياق النص في قوله تعالى :" لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ "[1].وبالنظر إلى سياق في قوله تعالى ضمن الآية القرآنية نجد أن الله سبحانه وتعالى وبخ جماعة من المنافقين، لما دعوا إلى القتال في وقت الحر تخاذلوا وتخلفوا ولو كان أمرا سهل التناول وحببا للنفس ، وليس فيه مشقة وسفر وتضحية بالمال والنفس لذهبوا إليه بينما الإبراهيمي وظف هذا الإقتباس ليتناسب مع الأحداث الحزينة التي تلم به .

أيضا تناصا قرآنيا في قول الكاتب :"أتيا العدوة الدنيا فثم المنتجع والمراد " مع الآية الكريمة :" إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ " [2].فالإبراهيمي يتناص مع الإبراهيمي في المعنى واللفظ لكن مع تحوير المعنى ليتناسب مع الموقف الشعوري الذي يريد إيصاله لنا فهو يبين مقام ومكانة المرثي، وهذا ما يحدث أثرا بليغا في نفس المتلقي .

ويستلهم الإبراهيمي ألفاظا من الآيات القرآنية متناصا معها تناصا اقباسيا كليا محورا لغويا في تأكيد على جزاء المهتدين، وأصحاب العلم النافع، والعمل الصالح الذي هو عنوان السعادة، ومنشور الفلاح ،وهو العمل الذي يحبه الله ويرضاه في قوله :

[1] سورة التوبة، الآية 42.

[2] سورة الأنفال، الآية 42.

" وهنيئا لك ذخرك عند الله مما قدمت يداك من الباقيات الصالحات " ويتناص مع الآية الكريمة وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ".[1] إذ يؤكد على جزاء من سلك طريق العلم والإيمان والعمل الصالح ،وهي الأعمال الباقية التي لا تنقطع ،ولا تضمحل والتي هيا عند الله خير وأجرها عظيم فالكاتب استدل بهذه الآية لإثبات حسن مقام المرثي ليضفي على نصه قداسة دينية عند إقتباسه النص القرآني ليصل إلى المتلقي .

ومن التناص عند الإبراهيمي قوله :" سلام عليك في الأولين ، وسلام عليك في الأخرين وسلام عليك في العلماء العاملين وسلام عليك في حكماء الربانين "فهنا يتناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى :" وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا "[2]فالتناص هنا وقع لفظا ومعنى استخدم لفظ القرآني للمعنى الذي أراده ، فالكاتب يبين مقام ابن باديس ويهنئه على ما قدمت يداه من أعمال صالحة لأنه من رعاة الله في دينه وكتابه وسنته، فأتي بالآية القرآنية لفظا ومعنى فوظف هذه تراكيب قرآنية في نصه مع المعنى الذي أراد ليضفي روعة على نصه .

ثانيا : الحديث النبوي الشريف

إذا كان القرآن هو" المصدر الأول للتشريع ، فإن الحديث هو المكمل أو الشارح له [3]"،وإن اقتباس الكتاب من الحديث كان كاقتباسهم من القرآن ، اذ كانوا يقتبسون اللفظ ويستلهمون المعنى وهذا ما وجدناه عند الإبراهيمي في قوله :"بكرا صاحبي فالنجاح في التبكير "ويظهر التناص بالدعوة إلي التبكير مع الحديث النبوي الشريف في قوله صلي الله عليه وسلم :

[1] سورة مريم ، آية 76.

[2] سورة مريم ،آية 15.

[3] الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن هجريين، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، ط2، 2010، ص149.

" اللهم بارك لأمتي في بكورها[1]" فالإبراهيمي أجرى تحوير لغوي مع ما يتناسب مع موقفه ليأكد على أن المرثي كثير التبكير لأن التبكير مطلوب لطلب الحاجات المهمة وفيه خير كثير ، فهو ينصح ويذكر بضرورة التبكير .

ونلاحظ من خلال ما سبق مدى تشبع الإبراهيمي بالحديث النبوي الشريف وبين استفادته منها في ايصال الفكرة التي تحول في داخله إلى المتلقي .

المطلب الثاني :التناص الأدبي

ونعني" بالتناص الأدبي نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة ،شعرا أو نثرا ويأتي منسجما مع سياق الحدث الذي يرد فيه ويزيده عمقا أو تعبيرا أو تأثيرا حسب مايقتضيه الحال في السياق"[2].

أولا : الشعر

لقد اعتاد الكتاب على تضمين نثرهم شيئا من الأشعار ، ولم تكن هذه الظاهرة وليدة العصر بل كانت موجودة في عصور سابقة .

فقد أكثر كتاب في العصر الحديث من تناص في الشعر ، وعدوه إجادة من الكاتب لتوظيفه، ولا غاربة في التأثر بالشعر و التناص به فالعرب أهل لذلك، وهذا ما ظهر واضحا جليا عند الإبراهيمي

الذي تناص مع بيت بشار بن برد استندا على قيمتها التراثية أن يفجر دلالات جديدة ساهمت في إيصال التأثير المطلوب في المتلقي يقول الإبراهيمي :

"بكر يا صاحبي، فالنجاح في التبكير" متناص مع قول بشار بن برد يقول:

[1] حسام الدين بن موسى عفانة، يسألونك،ج13، المكتبة العلمية دار الطيب للطباعة والنشر، القدس فلسطين، ط1، 2008، ص45.

[2] أحمد الزغبي، التناص نظريا وتطبيقا، ص 50.

بكرا يا صاحبي قبل الهجير .....إن ذاك النجاح في التبكير.[1]

فنلاحظ أن كلمات: "بكر صاحبي، والنجاح في التبكير "[2] قد استعملها الإبراهيمي أيضا لكن غير بعض التراكيب ليحملها أبعاد معاصرة والدلالات التي يريد ايصالها وهذا يضفي على النص قداسة وجمالية.

ونجد تناصا من الشعر في قوله :" تدفعا مسي خامس له يوم الترحل خامس "فهنا وظف ألية من أليات الإيجاز وهو تضمين لبيت أبي نواس في شعره :

قمنا بها يوما ويوما..... وثالثا ويوما له يوم[3].

الترحل خامس بمعنى كم مدة أقام أهل الأدب ، إذ هناك تكرار في قول الإبراهيمي للفظة خامس ساهمت في توسيع النص داخليا ، يعني به الرحيل يوم الخامس لرفاقه وحثهم على رحيل لبلوغ الهدف.

وفي قوله أيضا:" فادفعا بالمهرية القود في نحر وديقة الصيخود " تشير هذه الفقرة إلى وجود تناص جاء على شكل إقتباس من بيت شعري للمتني يقول :

يلمها خطة ويلمقابلها ....لمثلها خلق المهرية القودي .[4]

[1] سلاف بحراثي ، التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإبراهيمي مدرسة العليا للأساتذة جامعة قسنطينة.،12-13 .

[2] المرجع نفسه ، ص13.

[3] ابن هشام الأنصاري جمال الدين، تح، مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ،مغني البيب عن كتب الأعاريب،دار الفكر، دمشق ، ط1964، ص393.

[4] المتنبي أبو الطيب، ديوان المتني، دار الجيل، بيروت، دن، 1983، ص 508.

اقتبس الإبراهيمي من شعر المتنبي يطلب من رفاقه بالرحيل على الإبل للوصول إلى الهدف والمراد بلوغه .

ومن ذلك أيضا نجد الإبراهيمي يتداخل تداخل غير مباشر مع ابي علاء المعري في قوله :

ما للمقابر لا تجيب الداعي....أو ما استقلت بالسمع الواعي.

فهنا نجد " تداخل غير مباشر مع قول أبي علاء المعري في قضية الموت والحياة ، فالإبراهيمي أتى بألفاظ من الشعر القديم فهذا يدل على ربط أحداث الحاضر بالماضي"[1]يقول أبي علاء المعري:

صاح هذه قبورنا تملأ الرحب ....فأين القبور من عهد عاد[2]

وهذا ما يبرز أهمية النص القديم وقداسته،كما أنه يساعد في إثراء الدلالة وتعميق معناها.

ومن هنا نستنتج أن الإبراهيمي اعتمد على التناص في مقامته منها التناص الديني و التناص الأدبي، وهذا ما جعل يجعل المقامة ذات المعاني الفياضة، تزخر بالدلالات وتفتح للقارئ مجالا واسعا للتأويل والتحليل.

[1] سلاف بوحراثي ، التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإبراهيمي ، ص13.

[2]المرجع نفسه ص 17..

خاتمة :

الحمد لله تـ تم الـذي بنعمته الصالحات والحمد لله الذي ينير عقول البشر والحمد لله الذي بفضله يتم العمل

وفي خاتمة بحثنا نتمنى من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه لفن المقامة عند الإمام الإبراهيمي، وما للمقامة من دور فعال في الحياة الثقافية في الجزائر فقامت الدراسة على العديد من الأسئلة التي عملنا على الإجابة عنها وعملت على كشفت السمات الجمالية لمقامة الإبراهيمي "مناجاة مبتورة لداوعي الضرورة " وبعد هذا البحث وقفنا على أهم النتائج المتوصل إليها وهي :

1- لاحظنا ظهور عدة أنواع أدبية حديثة في الأدب الجزائري مما ساهمت في نهضة الأدب وتطوره وعملت على إحداث اللذة الأدبية من خلال تأثيرها القوي على المتلقي ومنها المقالة ،الخطاب القصة المسرحية، الرسالة، فالفنون النثرية صورت لنا الأحداث القائمة من الأحداث القاسية جراء الإستعمار الفرنسي، حينها إلتزم كتابها بقضايا الوطن في تعبيرهم عن أحاسيسهم وأشواقهم وعواطفهم وآمالهم ونقلوا الينا ما كان يحدث في نصوصهم بعمق وجداني في تعابيرهم ،بحيث تعتبر النصوص الأدبية شاهد من شواهد الماضي .

2- استنتجنا أن فن المقامة في الأدب الجزائري ازدهـ ر كثيرا نتيجة الحركات السياسية و الإجتماعية التي عاشتها الجزائر وقام كتابها برسم واقع المجتمع بهذا اللون النثري، الذي أخد مكانة راقية في الأدب .

3- كما لاحظنا أن فن المقامة عند نـكا الإبـ راهـ يمي حاضرا بقوة في أدبه يعبر فيها عن آماله وآلامه وأحلامه بحيث تعتبر المرأة الصادقة لما كان عليه المجتمع الجزائري من قيم وأخلاق وثقافة وعادات وكذلك أحداث إبان الإحتلال فقد برع في هذا لإلمامه الكبير من العلوم وقراءته للقرآن وحفظه للشعر ومختلف الدراسات .

4- تبين لنا أن مواضيع المقامات عت نو يئ رالج زا دبا لا في من اجتماعية إلى سياسية ودينية مثلت العصر الذي كتب فيه، ونقلت لنا ثقافته وإبداعه اللغوي وإتقانه للغة العربية، وخلوا هذه المقامة من التصنع والتكلف بل جعلها واضحة المعنى وقوية المقصد .

5- ظهر ان ل نا يائ رجزا لا ادب في مةالم قا سعت إلي مةمقا ايـ صال الإنسانية للعالم والمجتمع الجزائري خاصة بهدف إظهار القضية الجزائرية في فترة الإحتلال، ودعوة الفرد الجزائري إلى النضال والوقوف ضد مطامع المستعمر .

6- استنتجنا أن فن المقامات كان له أهمية بالغة لدي الإبراهيمي في اعلان صوته للعالم من خلال حطوط أنامله التي حررت الأدب الواقعي في مقاماته الإجتماعية وبينت لنا المشاركات في الأفراح والأقراح للأمة الإسلامية والجزائرية وفيها النصح وارشاد وموعظة إلى غير ذلك .

7- برز لنا أن مقامات يائ رالج ز دب لا ا شم لت مقامات ذات بعد ديني تركز على التوعية والنصح والوعظ والإرشاد للجزائريين، ل ت ب ني قيمهم الأخلاقية والروحية وتعمل على نشر الإسلام وسلوك منهاجه ومبادئه وتحث على إحياء الدروس الوعضية، وتعليم القرآن الكريم وحفظه والتمسك بالعقيدة الإسلامية

8- لاحظنا أن أسلوب الإبراهيمي يجنح إلى الفصاحة والبلاغة في مقاماته وهو من كتاب المعروفين وذلك لتشبعه بالعلوم الدينية والفكر الإصلاحي في تأسيس ثقافة راقية للفرد الجزائري وإتساع أفكاره فكان لها الأثر الكبير في الكتابة العربية

9- اتضح لنا أن مقامة الإبراهيمي جاءت كمقامة تعزية لرفاقه وللأمة الجزائرية بخصوص فقدان علم من أعلامها وهو عبد الحميد بن باديس الذي بفضله ارتقى العلم كما أنها تحكي على قمة الوفاء بالصداقة والأخوة وإعتراف بالفضل والتقدير لعظمة الرجال في حياتهم ومماتهم .

10- استنتجنا أن المقامة تتميز بسهولة التركيب والتنسيق في الأفكار، فلا وجود للتكلف والتصنع فيها ذات أسلوب متين مترابط بألفاظها ومسجوعة في نهج كتابتها ولا تخلوا من الألفاظ الغريبة أحيانا

مع محاكاة لأسلوب القرآن، وهذا ما يدل على أنه لا يقل شيئا عن الأدباء المرموقين ،كما أنه وظف الخيال فيها .

11- لاحظنا أن المقامة زخرت بالعديد من الصياغات التركيبية من الأساليب الخبرية والإنشائية والتي جاءت في خدمة المعنى العام للنص وهذا ما يعكس انسجام المعنى مع الألفاظها

12- استنتجنا أن الإبراهيمي وظف الأساليب البلاغية من الصور كالتشبيه والإستعارة والمجاز التي نمقت مقامته وزادتها رونقا وجمالا وصورت وحققت لونا من ألوان الحركة الشعورية لدى الكاتب .

13- تبين لنا اهتمام الكاتب بالإيقاعات الداخلية والخاريجية للنص، الذي تم توظيفه توظيفا فنيا من السجع الموجود بكثرة والجناس والطباق، مما أعطي جرسا موسيقيا للمقامة وسحرا في تناسق الألفاظ، وتصويره لجزئيات انفعاله وما تختلجه نفسه من مشاعر وأحاسيس وتدفق الألفاظ يوحي إلى قوة نسيج النص وخدمة سياقه وهذا ما يؤثر في المتلقي ويجعله مستمعا منبها بكل جوارحه .

14- لاحظنا استحضار الإبراهيمي بعض نصوص الآيات القرآنية ويظهر ذلك واضحا في اقتباسه من القرآن الكريم الذي ساعده للوصول إلى ذروة البيان وساهم في خصوبة المعنى وتعزيز دلالاته، كما وظف الحديث النبوي الشريف لتقوية المعنى وصيانته يةال شعر صال نصو من سهوإق تبا

وفي الأخير ننتمي من الباحثين أن يكون هناك دراسات جديدة في أدبنا الجزائري، ويأخد نصيبه الكبير في بلدنا، وأن نسلط الضوء على الكثير من أدباء الجزائريين، ونرجوا من الله أننا قد وفقنا في هذا العمل والله الموفق.

الكتب :

القران الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المصادر

1- أحمد طالب ابراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 2،1940-1952، دار الغرب الإسلامي ، ط1.

ثانيا :المراجع

2- ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ت، أحمد حوفي بدوي طبانة،ج 1،دار النهضةط2،دت .

3-ا بن هشام الأنصاري جمال الدين، تح، مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ،مغني البيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، دمشق ، ط1964، ص393.

4- أبو العدوس يوسف مسلم،مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني ،علم الالبيان ، علم البديع ، دارالميسرة للنشر والتوزيع، عمان ط3، 2013.

5-احمد قاسم محمد ومحي الدين ديب،علوم البلاغة،البديع البيانوالمعاني ،المؤسسة الحديثة للكتاب،لبنان،ط1، 2003.

6- بن سمينة محمد، في الأدبالعربي الحديث يالجزائر، في آثار عبد الحميد ابن باديس ،مطبعة الكاهنة الجزائر،دط، 2003.

7-بن سمينة محمد، في الأدب الجزائري الحديث ،النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر،مؤثراتها،بدايتها مراحلها ،مطبعة الكاهنة، الجزائر ،دط، 2003.

8- إسماعيل عز الدين ، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، دت.

9- بومنجل د/عبد المالك ، النثر الفني عند الشير الإبراهيمي ، بيت الحكمة ،العلمة –الجزائر ط1،2009.

10- توات الطاهر ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن هجريين، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، ط2، 2010.

11- جبور عبد النور ،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.
13- جرجي زيدان ،تاريخ الآداب اللغة العربية، ج1، مؤسسة الهلال، الهلال،القاهرة ،دط، دت.
14- حسين عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، القاهر، ط1، 1983
15- الركيبي عبد الله ، القصة القصير الجزائرية، دار الكتاب العربي ،الجزائر، دط، دت. 2009
16- الركيبي عبد الله ،تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، دار الكتاب العربي ،الجزائر ، دط، 2009.
17- الزغبي أحمد ،التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط2، 2000.

18- الشايب أحمد ، الأسلوب دراسة بلاغية، تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبه النضة المصرية، القاهرة ط8، 1991.
19-صوفي عبد الله، فن الكتابة أنواعها ، مهاراتها أصول تعليمها، دار الفكر ،دب، دط، 2007.
20-صالح محمد عبد الرحيم ،فنون النثر في العصر العباسي ،دار الجرير للنشر والتنوزيع ،عمان الأردن ،ط1، 2011.
21- ضيف شوقي ، في النقد الأدبي ،دار المعارف، القاهرة، ط9، 1962.
22-عتيق عبد العزيز،علم البيان ، دار النهضة العربية، بيروت، دط،1985.
23- عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية في علم البديع، دار النهضة العربية، لبنان،دط، دت.
24- عفانة حسام الدين بن موسى ، يسألونك،ج13، المكتبة العلمية دار الطيب للطباعة والنشر، القدس فلسطين، ط1، 2008.
25-جابر عصفور، الصورة الفنية في الثرات النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط3، 1992.
26-فهد الخليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية ، الأردن، عمان، ط1، 2009.
27-فضل صلاح ، علم الأسوب مبادئه وإجرءاته، دار الشروق، دب، ط1، 1998.
28-ال قلقشندي الشيخ أبو عباس ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 14, دار الكتب السلطانية ، القاهرة، مصر، د ط، 1919.

29-سيد القطب ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق،القاهرة ،مصر،دط، 2006.

30- سلاف بوحراثي ، التناص وتجليات الأسلوب في رسائل محمد البشير الإبراهيمي مدرسة العليا للأساتذة جامعة قسنطينة.

31- لجنة من أدباء الأقطار العربية، ، الفن القصصي ، المقامة، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.

32- يوسف نور عوض ، فن المقامة بين المشرق والمغرب، دار الفهم، بيروت لبنان ، د ط، د.ت

33- محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم فيروز أبادي، القاموس المحيط، شركة القدس للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2009.

34-مصايف محمد دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981.

35-مطلوب أحمد ،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون،لبنان،دط 1981.

36-مرتاض عبد المالك ، نهضة الأدب العربي، المعاصر في الجزائر(1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2،1983.

37-نجم- محمد يوسف ، فن المقالة ،دار الثقافة ، بيروت ط4،1966.

38- ناصر محمد، ، الشعر الجزائري، إتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ،ط2، 2006.

39-الهاشمي أحمد ،تح، يوسف الصميلي،جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

المجلات:

1-بن قينة عمر، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري ،خلال القرنين التاسع عشر وعشرون ،مجلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية،العدد23، 2000م.

الرسائل والأطروحات الجامعية :

1- أمينة بالهاشمي ، رمز في الأدب الجزائري الحديث ،زمز الحب والكراهية عند بعض الشعراء الجزائريين الحدثين ،مقدمة لنيل شهادة ماجسيتر، جامعة أبي بكر بلقائد تلمسان، 2010-2011

2-حاتم عبد الحميد محمد مبحوح، التناص في ديوان لأجل عزة ،(رسالة ماجيستر في الأدب العربي)،الجامعة الإسلامية ، عزة، 2013-2014

3- حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية، من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، مقدمة في نيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2013- 2014

4-فتيحة بن عموميه، المعجم اللغوي لمقامات محمد البشير الإبراهيمي، مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علوم اللسان اللغوي ، جامعة لخضر، باتنة،1433- 1434

الملاحق01 : مقامة مناجاة مبقورة لدواعي الضرورة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي

سلام يتنفس عنه الأقاحُ بإزهاره وإيراقه، ويتبسم عنه الصباحُ بنوره وإشراقه.

وثناءٌ يتوهج به من عنبر الشجر عبيرُه، ويتبلج به من بدر التمام على الركب الخابط في الظلام منيره.

وصلوات من الله طهورها الروح والريحان، وأركانها النعيم والرضوان، وتحيات زكيات تتنزل بها – من الملأ الأعلى– الملائكة والروح، ونفحات ذكيات تغدو بها رسل الرحمة وتروح، وخيرات مباركات يصدّق برهانُ الحقِّ قولَها الشارحَ بفعلها المشروح.

وسلام من أصحاب اليمين، وغيوث من صوادق الوعود، لا صواعق الرعود لا تخلف ولا تمين، وسحائب من الرحمات تنهل سواكبها، وكتائب من المبشرات تزجى مواكبها، وسوافح من العبرات تنحلّ عزاليها، ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها على الجدث الذي التأمتْ حافَّتاه على العلم الجم والفضل العد، ووارَى ترابُه جواهرَ الحِجا والذكاء والعزم والجد، وطَوى البحرَ الزخَّار في عدة أشبار، فأوقف ما لا حدّ له عند حد، واستأثر بالفضائل الغُزْر والمساعي الغرّ، والخلال الزُّهر، فلم يكن له في الأجداث ند، وأصبح من بينها المفردَ العلم كما كان صاحبه في الرجال العلمَ الفرد.

وسلام على مشاهدَ كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت تحت ظلال رعايته وتعهّده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شَمْلها بوجوده مجموعاً، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير مدوّياً في جنباتها مسموعاً.

مشاهد كان يراوحها للخير والنفع، وكانت آفاقها بأنواره مسفرة، ومعاهد كان حاديَ زُمَرها إلى السلم، وهادي نُزَّاعها إلى الإحسان والعلم؛ فأصبحت بعده مقفرة.

ومدارس، ما مدارس؟ مَهَدها للعلم والإصلاح مغارس، ونَصَبَها في نحور المبطلين حصوناً ومتارس، وشيّدها للحق والفضيلة مرابطَ ومحارس.

وسلام على شيخه الذي غذّى وربّى، وأجاب داعيَ العلم فيه ولبّى، وآثر في توجيهه خير الإسلام، فقلّد الإسلام منه صارماً عضباً، وفجّر منه للمسلمين معيناً عذباً، فلئن ضايقته الأيامُ في حدود عمره فقد أبقت له منه الصيت العريض، والذكر المستفيض، ولئن سلبته الحليةَ الفانية فقد أَلْبستْه من مآثر حُلل التاريخ الضافية، ولئن أذاقتْه مرارة فقده فقد متّعته بقلوب أمّة كاملة، ولئن حرمته لذة ساعات معدودة فقد أسعدته به سعادةً غير محدودة.

وسلام على إخوان كانوا زينة ناديه، وبشاشةَ واديه، وكانوا عمَّار سامره، والطِّيبَ المتضوعمن مجامره، والجوارحَ الماضيةَ في تنفيذ أوامره.

وسلام على أعوان كانوا معه بناة الصرح، وحماة السرح، وكانوا سيوف الحق التي بها يصول، وألسنة الصدق التي بها يقول.

أبت لهم عزة الإسلام أن يضّرعوا أو يذلّوا، وأبتْ لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن منهاجه أو يضلّوا، تشابهت السبل على الناس فاتخذوا سبيل الله سبيلاً، وافترق الناس شيعاً فجعلوا محمداً وحزبه قبيلاً.

ولقد أقول على عادة الشعراء –وما أنا بشاعر– لصاحبين من تصوير الخيال أو من تكييف الخَبال، تُمثِّلهما الخواطر تمثيلَ صفاء، وتقيمهما في ذهني تمثالَ وفاء: بكِّرا صاحبي فالنجاح في التبكير، وما على طالب النّجْح بأسبابه من نكير، تُنْجِحا لصاحبكما طِيةً، لا تبلغ إلاّ بشد الرحل وتقريب المطية، فقد نُجِتمت –كما بُدئت– الأطوار، بدولة الرحال والأكوار، فادفعا بالْمهريّة القُوْد في نحر الوديقة الصيخود، ولا تخشيا لذع الهواجر، وإن كنتما في شهري ناجر، ولا يهولنَّكما بُعْدُ الشُّقة، وخيال المشقَّة، ولا الفلَواتُ يُصِمّ صداها، ويقصر الطرف عن مداها، ولا السراب يترجرج رقراقُه، ويخدع الظامئ المحرور مُراقُه.

سيرا – على اسم الله – ¬في نهار ضاح، وفضاء منساح، ضاحك الأَسرَّة وضَّاح، وتخلَّلا الأحياءَ؛ فستجدان لاسم مَنْ تَنْتَجعانِه ذكراً ذائعاً في الأفواه، وثناءً شائعاً على الشفاه، وأثراً أزكى نماءً وأبقى بركةً على الأرض من أثر الغمام المنهل، فإذا مَسّكُما الملالُ أو غشّى مطيّكما الكلالُ فاحدوا بذكراه ينبعث النشاط، وينتشر الاغتباط، وتَغْنيا بها عن حمل الزاد، ومَلءِ المزاد، وتأمنا غوْل الغوائل، من أفناء دراج ونائل.

سيرا –روحي فداؤكما من رضيعي همة، وسليلي منجبة من هذه الأمّة–حتى تدفعا في مَسِيِّ خامسٍ، له يوم الترحل خامس، إلى الوادي الذي طرّز جوانبه آذار، وخلع عليه الصانع البديع من حَلْي الترصيع، وحلل التفويفوالتوشيع ما تاه به على الأودية؛ فخلع العذار.

وأتِيا العُدوة الدنيا فثمَّ المنتجعَ والمرَاد، وثمّ المطلب والمراد، وثمّ محلة الصدق التي لا يصدر عنها الوُرّاد، وثمّ مناخ المطايا على حُلاّل الحق، وجيرة الصدق، وعُشراء الخلود، الذين محا الموت ما بينهم من حدود، اهتفا فيها بسكان المقابر عني:

أوَ ما استقلَّت بالسميع الواعي ما للمقابر لا تُجيب الداعي

وخصّا القبر الذي تضمّن الواعيَ السميع، والواحدَ الذي بذّ الجميع، فقولا له عني:

يا قبر، عزَّ على دفينك الصبر، وتعاصى كسرُ القلوب الحزينة على من فيك أن يُقابَل بالجبر، ورجع الجدال إلى الاعتدال بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر.

يا قبر، ما أقدر الله أن يطويَ عَلماً ملأ الدنيا في شبر!

يا قبر، ما عهدنا قبلك رمساً، وارى شمساً، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكاً دائراً، وتحبس كوكباً سائراً.

يا قبر، قد فصل بيننا وبينك خط التواء لا خط استواء، فالقريب منك والبعيد على السواء.

يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أي الجواهر احتويت؟ إنك احتويت على أمة، في رمّة، وعلى عالَم في واحد.

يا قبر، أيدري مَنْ خطّك، وقاربَ شطّك، أي بحر ستضُم حافتاك؟ وأي معدن ستزن كفتاك؟ وأيَّ ضرغامةِ غابٍ ستحتبل كفتاك؟ وأي شيخٍ كشيخك؟ وأي فتى كفتاك؟ فويح الحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا؟ وويح المشيعين ماذا شيعوا إليك يوم شيّعوا؟ ومن ذا ودّعوا منك إذ ودّعوا؟ إنهم لا يدرون أنهم أودعوا بنَّاء أجيال في حفرة، وودَّعوا عامر أعمال بقفرة، وشيعوا خِدَن أسفارٍ، وطليعة استنفارٍ إلى آخر سَفْرة.

يا قبر، لا نستسقي لك كل وطفاء سكوب، تهمي على تربتك الزكية وتصوب، ولا نحذو في الدعاء لك حذو الشريف الرضي، فنستعير للنبت جنيناً ترضعه المراضع، من السحب الهوامع، تلك أودية هامت فيها أخيلة الشعراء، فنبذتهم بالعراء، وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهاجه، وراغوا عن طينته ومزاجه، بل تلك بقية من بقايا الجهل، ما أنت ولا صاحبك لها بأهل.

قولا لصاحب القبر عني: يا ساكنَ الضريح، نجوى نِضْوٍ طليح، صادرةً عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يَتَأَوَّبُهُ في كل لحظةٍ خيالُك وذكراك، فيحملان إليه على أجنحة الخيال من مسراك اللهب والريح، وتؤدي عنهما شؤونه المنسربة، وشجونه الملتهبة، وعليهما شهادة التجريح.

إن من تركت وراءك، لم يحمد الكرى فهل حمدت كراك؟ وهيهات، ما عانٍ كمستريح!

يا ساكن الضريح، أأكني؟ أم أنت كعهدي بك تؤثر التصريح؟ إن بُعدك أتعب من بَعدك.

لقد كانوا يلوذون من حياتك الحية بكنف حماية؛ ويستذْرُون من كفاءتك للمهمات بحصن كفاية، ويستدفعون العظائم منك بعظيم؛ وايم الله لقد تَلَفَّتَتْ بعدك الأعناق، واشرَأبَّتْ، وماجت الجموع واتلأبَّتْ، تبحث عن إمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ ويسد الثلمة، فما عادت إلا بالخيبة، وصِفْر العَيبة.

يا ساكنَ الضريح؛ مِتَّ فمات اللسان القوّال، والعزم الصوّال، والفكر الجوّال، ومات الشخص الذي كان يصطرع حوله النقد، ويتطايرُ عليه شرر الحقد؛ ولكن لم يمت الاسم الذي كانت تقعقع به البرد، وتتحلّى به القوافي الشُّرد، ولا الذكرُ الذي كانت تطنطن به الأنباء، وتتجاوب به الأصداء، ولا الجلال الذي كانت تعنو له الرقاب، وتنخفض لجلاه العقاب، ولا الدوي الذي كان يملأ سمعَ الزمان، ولا يبيت منه إلا الحق في أمان.

مات الرسم، وبقي الاسم، واتفق الودود والكنود على الفضل والعلم.

وعزاء فيك لأمّة أردت رشادَها، وأصلحت فسادَها، ونفقت كسادَها، وقوّمت منآدها، وملكتَ بالاستحقاق قيادَها، وأحسنتَ تهيئتها للخير وإعدادَها، وحملتها على المنهج الواضح، والعَلَمِ اللائح، حتى أبلغتها سدادَها، وبنيت عقائدها في الدين والحياة على صخرة الحق، ومثلك مَنْ بنى العقائد وشادها؛ أعليت اسمها بالعلم والتعليم، وصيّرت ذكرها محل تكريم وتعظيم، وأشربتها معاني الخير والرحمة والمحبة والصدق والإحسان والفضيلة فكنت لها نعم الراحم وكنت بها البر الرحيم.

ولقد حييتَ فما كانت لفضلك جاحدة، ومتّ فما خَيَّبتْ من آمالك إلا واحدة.

وهنيئاً لك ذخرك عند الله مما قدّمت يداك من باقيات صالحات، وعزاءاً لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضعُ ثقتك الغاليةَ فيهم، من إخوانك العلماء العاملين، الصالحين المصلحين.

فهم – كعهدك بهم –رُعاة لعهد الله في دينه، وفي كتابه، وفي سنّة نبيه، دعاةٌ إلى الحق بين عباده، يلقَوْن في سبيله القذى كُحْلا، والأذى من العسل أحلى.

وسلام عليك في الأوّلين، وسلام عليك في الآخرين، وسلام عليك في العلماء العاملين، وسلام عليك في الحكماء الربّانيين، وسلام عليك إلى يوم الدين.

آفلو[18]، 22 ربيع أول 1360 هـ / 9 أفريل 1941.